الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور / خنشلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية
الشعبة: التاريخ
التخصص: تاريخ المقاومة والحركة الوطنية
الرقم التسلسلي: .....

إسهامات شارل دوفوكو في الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري 1901-1916

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في شعبة التاريخ تخصص تاريخ المقاومة والحركة الوطنية

إعداد الطالبتين:
- سامية الصيفي
- سكينة براح

إشراف الأستاذ:
ياسين وادفلي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية
صالح بوعناقة	رئيسا	أستاذ مساعد أ
ياسين وادفلي	مشرفا ومقررا	أستاذ مساعد أ
صالح كليل	ممتحنا	أستاذ محاضر أ

السنة الجامعية: 1444/1443 / 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا

على أداء هذا الواجب ووفقنا الى انجاز هذا العمل

في رحاب الجامعة وعليه نخص بالشكر والتقدير

الأستاذ "وادفلي ياسين" الذي أشرف على هذا العمل

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان لأساتذتنا الكرام

والشكر موصول لكل من قدم لنا يد العون

من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

إهداء

إلى أبي العطوف.... قدوتي، ومثلي الأعلى في الحياة

فهو من علَّمني كيف أعيش بكرامة وشموخ.

إلى أمي الحنونة..... لا أجد كلمات يمكن أن تمنحها حقها

فهي ملحمة الحب وفرحة العمر ومثال التفاني والعطاء.

إلى كل العائلة الكريمة

إلى جميع الأخلاء؛ أهدي إليكم هذا العمل

ساميــة

إهداء

إلى من علَّمني كيف أقف بكل ثبات

فوق الأرضإلى روح أبي

إلى نبع المحبة والإيثار

والكرم أمي الموقَّرة

إلى أقرب الناس عائلتي الكريمة

إلى جميع من تلقَّيتُ منهم النصح والدعم

أهديكم خلاصة جُهدي العلمي

سكيـنة

قائمة المختصرات:

الرمز	الكلمة
ج	الجزء
ع	العدد
د ط	دون طبعة
د س	دون سنة
تر	ترجمة
تع	تعريب
ص	صفحة
مج	مجلد
ط خ	طبعة خاصة
P	Page

مقدمة

مقدمة:

بعد أن استولت فرنسا على الجزائر في عام 1830، وفي بداية القرن العشرين تمكنت فرنسا من الوصول إلى عمق الجنوب الجزائري، بدأت بالتركيز على استعمار مناطقها الجنوبية، حيث زادت من إرسال البعثات والرحلات الاستكشافية وأجرت دراسات ميدانية دقيقة، واستعانت بالعديد من الباحثين والمغامرين ورجال الدين والأدباء والضباط العسكريين لإعداد التقارير والدراسات التي ساعدت السلطة الفرنسية على فهم كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة حول المنطقة، سواء كانت تتعلق بالطبيعة أو الاقتصاد أو حياة السكان في الصحراء، وكل هذه الجهود هدفها السيطرة واستغلال المنطقة بشكل يخدم اطماعها الاستعمارية ، وهو ما يتضح من خلال السياسة الاستعمارية الفرنسية المتبعة للتوغل في الصحراء الجزائرية، وعن طريق هذه السياسة تمكنت فرنسا من استعمار معظم مناطق الجنوب الجزائري قسرًا، بهدف الاستفادة من تجارتها مع غرب الصحراء وشرقها، واستكشاف أعماقها وفهم أحوالها استعدادًا للسيطرة عليها والتوسع فيها.

ومن خلال هذه الدراسة نسعى للكشف والتعريف بإسهامات شارل دوفوكو في الحملة التنصيرية بالجنوب الجزائري، وكيف حاول بشتى الطرق أن ينشر المسيحية وينصر سكان الجنوب بصحراء الجزائر. ولهذا جاء موضوع دراستنا تحت عنوان: **اسهامات شارل دوفوكو في الحملة التنصيرية في الجنوب الجزائري 1901-1916.**

الإطار الزماني والمكاني: الدراسة تشمل المنطقة الجنوبية من الجزائر وتحديدا اقصى الجنوب وما يصطلح على تسميته حاليا الجنوب الكبير، اما الفترة الزمنية للدراسة فهي بداية القرن العشرين وتحديدا العشريتين الأوليين من القرن العشرين.

الإشكالية:

ولدراسة الموضوع طرحنا الإشكالية التالية:

- فيما تمثلت إسهامات دو فوكو لتنصير سكان الجنوب الجزائري
- وقد تفرعت على هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية: من هو شار ل دي – ماهي اهم الأساليب والوسائل التي استخدمها للتنصير –فيمل تتجلى مظاهر اسهاماته
- هل رحب سكان الجنوب الجزائري بمشروع دوفوكو التنصيري؟
- هل نجح دو فوكو في مشروعه التنصيري بالجنوب الجزائري أم عجز أمام عمق العقيدة الاسلامية لدى التوارق؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة مكونة من مقدمة ومدخل وثلاث فصول وخاتمة تناولنا في المدخل الحركة التنصيرية في الجزائر والذي تضمن ثلاث مباحث تحدثنا في المبحث الاول عن التنصير والحركة التنصيرية والمبحث الثاني يتحدث عن البوادر الاولى للتنصير في الجزائر والمبحث الثالث يتحدث عن اهداف المشروع التنصيري الفرنسي بالجزائر والفصل الاول بعنوان الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري تضمن ثلاث مباحث المبحث الاول التوغل الفرنسي بالجنوب المبحث الثاني بدايات الحركة التنصيرية بالجنوب المبحث الثالث المؤسسات والجمعيات التنصيرية بالجنوب والفصل الثاني بعنوان شارل دوفوكو ونشاطه التنصيري بالجنوب المبحث الاول التعريف بشارل دوفوكو المبحث الثاني بداية نشاطه التنصيري بالجنوب المبحث الثالث اهم اعماله واسهاماته والفصل الثالث بعنوان الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري بين الاهداف والنتائج تضمن ثلاثة مباحث المبحث الاول بعنوان شارل دوفوكو ودعمه للاستيطان بالجنوب المبحث

الثاني مقاومة السكان لمشروع التنصيري والمبحث الثالث مصير مشروع دوفوكو التنصيري ونهايته.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، ومن بين تلك الأسباب نذكر:

- اهتماماتنا البحثية بدراسة التاريخ الديني وقلة الدراسات التي تناولت الجنوب بالدراسة
- الرغبة في التعرف على إسهامات شارل دوفوكو في حملة التنصير بالجنوب الجزائري، ومحاولة فهم التحولات التي حدثت في المنطقة في فترة الدراسة.
- الرغبة في فهم العلاقة بين سياسة التنصير والمشروع الاستيطاني.
- جهلنا لسياسة التنصير وشخصية دوفوكو مقارنة ب لافيجري

- أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية دراسة موضوع إسهامات شارل دوفوكو في الحملة التنصيرية بالجنوب الجزائري في عدة نقاط نوردها فيما يلي:

- فهم التاريخ الاستعماري: تساهم هذه الدراسة في فهم عمق التأثير الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وبالتحديد في المناطق النائية والصحراوية، حيث تعكس حملة التنصير تداعيات الاستعمار الثقافية والدينية على المجتمعات المحلية وتأثيرها على الهوية والثقافة.
- توثيق التراث الثقافي: من خلال توثيق الثقافة والتقاليد الأمازيغية والعربية في الجنوب الجزائري، يمكننا الحفاظ على التراث المحلي وإثراء المعرفة المتعلقة به،

ويمكن لهذه الدراسة أن تساهم في تسليط الضوء على تلك الثقافات وتعزيز الوعي بها.

- تأثير الحملات التبشيرية: يعتبر فهم تأثير الحملات التبشيرية في الجنوب الجزائري مهمًا لفهم التغيرات الاجتماعية والدينية والثقافية التي حدثت في المنطقة.
- الدروس المستفادة: من خلال دراسة الحملة التنصيرية بواسطة شارل دوفوكو، يمكننا استخلاص الدروس والعبر من تلك الفترة التاريخية.

أهداف الموضوع:

- يهدف الموضوع إلى فهم وتوثيق التأثير الاستعماري الفرنسي في الجزائر، وبالتحديد فيما يتعلق بحملة التنصير في الجنوب الجزائري، كما يسعى لتوضيح آليات التنصير والأثر الثقافي والديني لهذه الحملة على المجتمعات المحلية.
- محاولة تحليل التغيرات التي طرأت في المجتمع الجزائري في الجنوب نتيجة حملة التنصير.
- ابراز دور رجال الدين في دعم عمليات الغزو والاستيطان
- الوقوف على والدور الذي لعبه شارل دوفوكو في تعزيز المشروع الاستيطاني.
- الوصول إلى اكتشاف دور الدين في الجنوب الجزائري.

- منهج الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي السردي والوصفي من خلال سرد الوقائع والاحداث التاريخية وعرضها كرونولوجيا خاصة ما تعلق بالرحلات والاستكشافات في الجنوب الجزائري وعمليات التوغل الفرنسي في الجنوب وفي وصف وتعريف شخصية شارل دوفوكو، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي من خلال تحليل

بعض الاحداث التاريخية وتحليل ابعاد مهمة دوفوكو بالجنوب ومصير مشروعه التنصيري.

المصادر والمراجع:

من أجل التقدم في موضوع دراستنا اعتمدنا على مصادر ومراجع ساعدتنا في إعداد البحث وسهلت علينا جمع المادة العلمية، حيث تنوعت المراجع بين كتب ومقالات ورسائل جامعية، لكن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها تمثلت في كتاب شارل دوفوكو التعرف على المغرب 1883-1884 و Daumas Eugene le sahara algérien و René bazincharles de foucauld explorateur de maroc ermit au sahara librairie plon توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري1881-1912، و كتاب مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962لإبراهيم مياسي، أيضا أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945، كذلك أحمد سعد الدين البساطي في كتابه التبشير في البلاد العربية والإسلامية، أيضا اعتمدنا على كتاب إسماعيل العربي بعنوان الصحراء الكبرى وشواطئها وبوعزيز يحي في كتابه موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، أيضا حسن مرموري في كتابه التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، أما المجلات فاعتمدنا على مجموعة لا بأس بها نذكر من أهمها إبراهيم زلافي في مقاله رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر وأبو عمران الشيخ في مقاله شارل دي فوكو في تامنراست1905-1916، كما اعتمدنا أيضا رسائل جامعية نذكر منها أطروحة عبد القادر مرجاني بعنوان السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م.

صعوبات الدراسة:

من الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث نذكر ما يلي:

- صعوبة الوصول إلى مصادر ومراجع تتعلق بالحملة التنصيرية بالجنوب الجزائري ودور شارل دوفوكو فيها، خاصة المصادر الارشيفية
- تعدد وتنوع الآراء والروايات المتعلقة بالحملة التنصيرية ودور شارل دوفوكو فيها، جعل دراسة هذه الشخصية وتقيم دورها وتأثيرها ونواياها في الحملة التنصرية أمر صعب.
- صعوبة في قراءة وفهم بعض المصادر التاريخية المكتوبة باللغات الأجنبية مما يشكل تحديات لغوية في جمع المادة العلمية.
- الالتزامات المهنية قللت من فرص تخصيص الوقت الكافي للبحث.
- صعوبة تحديد دور شارل دوفوكو هل كان دينيا أم سياسيا أم عسكريا.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الى كل من كان لنا عونا في انجاز هذا البحث.

مدخل

الحركة التنصيرية في الجزائر

لا بد أنه من الضروري قبل أن ندخل في صلب الموضوع و الذي يتناول بالدراسة جهود شارل دي فوكو التنصيرية في الجنوب الجزائري، من أن نضع الأمور في سياقها التاريخي، وأن نفهم الجذور التاريخية للحركة التنصيرية في الجزائر، من خلال الوقوف على بدايات العمل التنصيري الفرنسي بالجزائر وتسليط الضوء على أهدافه وغاياته.

أولا- التنصير والحركة التنصيرية بالجزائر

قبل التعرض إلى الحركة التنصيرية في الجزائر لابد من إعطاء تعريف للتنصير باعتباره مفهوما أساسيا ضمن المشروع الفرنسي الديني بالجزائر.

يراد بالتنصير حسب الديانة المسيحية التمسيح أو الدعوة للمسيحية من خلال تحويل الناس من دياناتهم نحو الديانة النصرانية، وعند المسلمين يراد به ذلك الغزو الفكري الذي من شأنه تغيير ديانتهم بالديانة النصرانية[1].

وبعبارة أخرى التنصير هو حمل الناس أيا كانت ديانتهم على النصرانية، وهو اتجاه الكنسية لتحويل الناس فكريا وعقائديا وسلوكيا إلى النصرانية[2].

والتنصير مفهوم يعني الدعوة إلى النصرانية، ومحاولة نشرها بشتى السبل في كل المناطق، وتشكل المجتمعات المسلمة الهدف المباشر لها، وهذه الدعوة عبارة عن برنامج سطرت فيه الإمكانيات المادية والمعنوية اللازمة لذلك إلى جانب الأهداف المرجوة، وقد أشار أنور الجنيدي في تعريفه للتنصير إلى أنه تنظيم تربوي يرمي إلى إخراج المسلمين من عقيدتهم إلى عقيدة النصرانية

[1] فاتح حليمي، أهداف التنصير في الجزائر في المدى المتطور والبعيد، د ع، د ت، ص126.

[2] عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية1844-1916، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص99.

من خلال استغلال الطلاب و المرضى و تشويه عقيدتهم وتخريج أجيال ممسوخة الثقافة[1]، وهو هنا يرمي إلى ربط التنصير بالخدمات التربوية التي من شأنها أن تحقق أهدافه وغاياته خصوصا ما تعلق منها بزعزعة ثقافة وهوية الشعوب المسلمة.

إذن فالتنصير هو الدعوة إلى العقيدة النصرانية ونشرها في أرجاء العالم، ويعني التنصير الممارس بالجزائر إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتنصيرهم كي يصبحوا مسيحيين[2].

ليكون التنصير حركة لها أبعادها وأهدافها كان لابد من ارتباط هذا الأخير بالحركة الاستعمارية، فالنشاط التنصيري والنشاط الاستعماري أمران متلازمان، فقد أكد المؤرخون أن الحملات التنصيرية التي حلت محل الحملات الصليبية كانت طليعة الغزو الاستعماري الجديد، حيث أنها ركزت على النواحي الفكرية للوصول إلى العقول والقلوب، وهو ما ينطبق على الجزائر فقد كان التخطيط لاحتلالها قد بدأ في مخابر التنصير منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي[3].

ومن هنا ارتبط التنصير بالاستعمار الفرنسي للجزائر ليشكل حركة تنصيرية ثم مشروعا تنصيريا استعماريا الهدف منه هو فرض السيطرة وبسط النفوذ من جهة والقضاء على الديانة الإسلامية من جهة أخرى وهو الهدف الأول للتنصير، فالاستعمار مهد الطريق للمبشرين والمنصرين حينا[4]، ومهد

[1] إبراهيم زلافي، رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر: التنصير أنموذجا، مجلة إشكالات، ع8، 2015، ص308.

[2] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص109.

[3] إبراهيم زلافي، المرجع السابق، ص312-314.

[4] عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، ع9، د ت ن، ص22.

المبشرون الطريق للاستعمار حينا آخر، فالحركة التنصيرية بالجزائر مرتبطة أيما ارتباط بالمشروع الاستعماري الفرنسي للجزائر.

وعموما فالتنصير هو حركة دينية تعني الدعوة إلى الديانة المسيحية وحمل بقية الديانات على اعتناقها، وقد ركزت الحركة التنصيرية في دعوتها على المجتمعات المسلمة نظرا لتشبث هذه الأخيرة بدينها من جهة، من جهة أخرى إلى ذلك الصراع الذي كان بين المسيحيين والمسلمين في إطار الحروب الصليبية، ذلك الصراع الذي نقلته القوى الاستعمارية الغربية في إطار الاستعمار الأوروبي لشمال إفريقيا ونعني هنا بالتحديد الاستعمار الفرنسي للجزائر الذي حمل بدافع ديني صليبي برزت ملامحه منذ البدايات الأولى للغزو.

ثانيا-البوادر الأولى للحركة التنصيرية في الجزائر:

لم تكن الحركة التنصيرية الفرنسية بالجزائر وليدة الصدف وإنما هي فكرة اختمرت في أذهان ملوك وأباطرة فرنسا منذ مدة طويلة، والتي بدأت تجلياتها تتضح منذ الحملة الفرنسية على الجزائر، هذه الأخيرة التي كانت مدعمة بدافع ديني صليبي غايته تمسيح الجزائريين ونشر النصرانية في أوساطهم ويتضح ذلك في التقرير الذي رفعه وزير الحربية الفرنسي "كليمون" إلى الملك شارل العاشر[1] في 14 من أكتوبر عام 1827 والذي قال فيه أن : "**من الممكن ولو بمضي الوقت أن يكون لنا الشرف في أن نمدنهم وذلك بجعلهم مسيحيين**"[2].

---

[1] **شارل العاشر**: من مواليد مدينة فرساي الفرنسية سنة 1757، من أصغر أولاد لويس الخامس عشر، أنظر: Mohammed Tiab , La chronologie algerienne 1830-1962,Tome1,Algérie,2003,p101

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى 1962، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997، ص86.

كذلك أكد شارل العاشر بنفسه عن نية فرنسا في نشر النصرانية وذلك في خطابه الذي قدمه في 2 مارس 1830 قائلا فيبه: "**إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي سيكون بعون العلي القدير لفائدة المسيحية كلها**"[1]، وهذا يؤكد بوضوح أن نية فرنسا من وراء حملتها ليس تأديب الداي واسترجاع شرفها كما تدعي وإنما هو رغبتها في نشر جذور النصرانية على الأرض الجزائرية وإحياء روح الصليبية.

فالنزعة الصليبية كانت أحد أسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر، أي أن احتلال فرنسا للجزائر لم يكن إلا امتدادا للصراع المسيحي الإسلامي في إطار الحروب الصليبية، لهذا استخدمت فرنسا كل الأساليب لتقويض الدين الإسلامي ونشر النصرانية، أين جاءت إلى الجزائر بالراهب الاستعماري لتفسد به المسلمين وتبعدهم عن عقيدتهم[2].

وفي ذات السياق وفي إطار الحركة التنصيرية الفرنسية بالجزائر، باشرت فرنسا عملية تنفيذ حركتها الدينية بالتعدي على المؤسسات الدينية الإسلامية بالجزائر، كون هذه الأخيرة تمثل مصدر الانبعاث الديني لدى الجزائريين و مراكز لنشر تعاليم الإسلام، أين صبت كل حقدها على الحرمات و المقدسات خاصة المساجد وكل رموز العقيدة الإسلامية، وما يؤكد على هذا العمل الصليبي قول الدوق دومال[3] للحاكم العام: "**قد سقطت الجزائر بين أيدينا**

---

[1] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص46.

[2] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص4.

[3] **الدوق دومال:** من مواليد 1822، كان برتبة جنرال في الجيش الفرنسي، شغل منصب حاكم عام بالجزائر سنة 1847، عاش في المنفى بعد الثورة الفرنسية، أنظر:.Petit Larousse,Librairie Larousse,Paris,p1044

واستولينا على المعاهد العلمية والدينية وحولناها إلى ثكنات ومستشفيات ودكاكين ومدارس لتعليم لغتنا الفرنسية بدل اللغة العربية"[1].

كذلك حولت بعض المساجد إلى كنائس، ذلك لعزل الإسلام ونشر النصرانية في كافة أقطار البلاد، لأن الجزائريين متمسكون بدينهم بشدة من غير السهل أن يبدلوه بالنصرانية، كما قام المنصرون بإنشاء الكنائس والمدارس المسيحية لنشر النصرانية لكنهم لم يستطيعوا أن ينصروا كل الجزائريين وكان التأثير الأكبر للنصرانية على منطقة القبائل مقارنة ببقية المناطق من البلاد[2].

من جهتها قامت إدارة الاحتلال إلى جانب هدم المؤسسات الدينية و مختلف دور العبادة بالجزائر و تحويلها لثكنات وكنائس لنشر الديانة المسيحية، بتدعيم حركتها التنصيرية بعدد من المبشرين و المنصرين الذين من شأنهم أن يلقنوا النصرانية وينشروا تعاليمها، حيث كان قد رافق الجيوش الفرنسية خلال حملتها أعداد هائلة من المنصرين وكان على رأسهم الكاردينال شارل مارسيال لافيجري[3] Lavigirie (1825-1892) الذي منحته فرنسا من الأموال ما يشاء لمواصلة عمله المقدس، وكان دعاة التنصير هؤلاء قد شغلوا مناصب عديدة منها مناصب مستشارين للاستعمار أمثال المستشرق الفرنسي "دي ساسي" الذي شغل منصب في وزارة الخارجية الفرنسية، والمستشرق "لويس ماسنيون"

[1] محمد بن اسماعيل، مشايخ خالدون و علماء عاملون، ط1، 2001، ص23.

[2] أحمد سعد الدين البساطي، التبشير في البلاد العربية والإسلامية، دار أبو المجد للطباعة، 1989، ص150.

[3] **شارل مارسيال لافيجري:** ولد بمدينة بابون الفرنسية سنة 1825، وصل إلى الجزائر أثناء المجاعة التي حلت بها واستغلها لمهامه التنصيرية ما بين 1868-1892، عرف التنصير بالجزائر أوجه خلال فترته، أنظر: عميرواي أحميدة، السياسة الفرنسية....، المرجع السابق، ص402.

الـذي كـان مستشـارا لـلإدارة الفرنسـية فـي الشـؤون الإسـلامية[1]، يضـاف إلـيهم عـدد من الأساقفة وكان أشهرهم الأسقف ديبش[2]، والأسقف بافي[3].

ونظـرا لأهميـة المشـروع التنصـيري لفرنسـا فقـد أدركـت هـذه الأخيـرة أن مهمـة تقـويض المؤسسـات الدينيـة بـالجزائر مـن جهـة، وتـدعيم مهمتهـا التنصـيرية بعـدد مـن المنصـرين والمبشـرين مـن جهـة أخـرى لا يكفـي لإنجـاح مشـروعها الصـليبي، وأن السـبيل لـذلك لا يكـون إلا مـن خـلال تشـكيل جمعيـات وأسـقفيات مسـيحية بـالجزائر والتـي مـن شـأنها أن تعطـي للحركـة التنصـيرية دفعـا أكثـر لمواصلة عملها و تحقيق أهدافها بالجزائر.

ولأجـل ذلـك أوفـدت فرنسـا عـددا مـن الجمعيـات والأسـقفيات المسـيحية إلـى الجزائر خلال الفترة الأولى من الاحتلال أهمها:

-جمعية الجوزيت (الآباء اليسوعيون) Les j ésuites:

و قـد تـم اسـتقدام هـؤلاء و كـان مـنهم مـن انـدس فـي صـفوف الجـيش كمرشـدين، وقـد أسـندت لبعضـهم مهمـة إدارة ملجـأ اليتـامى الأوربيـين بـبن عكنـون سـنة 1842، ومـنهم مـن كـان يجـوب القـرى لتقـديم دروس فـي التبشـير، وآخـرون اهتمـوا بالعلاج والإرشاد خاصة في المستشفى افسلامي بقسنطينة[4].

-جمعية أخوات جوزيف دي لبارسيون Soeur de dt joseph la parition:

---

[1] إبراهيم زلافي، المرجع السابق، ص315.

[2] **الأسقف ديبيش:** رجل دين مسيحي ولد في بوردو الفرنسية، عين أسقفا على الجزائر سنة 1838، أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج6، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص108.

[3] **الأسقف بافي:** هو لويس أنطوان بافي عين أسقفا على الجزائر سنة 1846 إلى غاية 1866، أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص115.

[4] خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب،2006، د ت، ص58-63.

تم استقدامهن إلى الجزائر سنة 1835 واستقر بهن المقام في العاصمة وعنابة، واقتصر مهامهن على تربية اليتيمات الأوروبيات بالجزائر[1].

-جمعية الراهبات الثالوثيات Les religieuses:

وصلن إلى الجزائر سنة 1840 واستقرين بوهران، فتحن مدرسة وملجأ ودور للأيتام كما أنشأن ورشة صناعية وكرسن أنفسهن لخدمة المرضى[2].

-جمعية أخوات العقيدة المسيحية Les sœurs de la dostrinecentième:

وصل أعضائها إلى الجزائر بتاريخ 21 ماي 1841، منهم الأخت "كولان"،"روني فارغ"، "ثيراز"، و"لويزز"، اشتغلن في التعليم والصحة في أكثر من 18 مؤسسة من مدارس ومستشفيات ومراكز للأيتام[3].

-جمعية إخوان العقيدة المسيحية Les frères de la doctrine chrétienne:

حضرت إلى الجزائر بدعوة من المطران ديبيش سنة 1841 وكانت مهمتها في البداية تتمحور حول التعليم.

-جمعية راهبات لاتراب:

قام الجنرال بيجو باستدعائها بعد رسالته التي وجهها للراهب ريجيس رئيس هذه الطائفة سنة 1843، وكان مقر ديرها في اسطاوالي بالجزائر[4].

-جمعية أخوات الإحسان Les soueursdes bon secoures:

---

[1] محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، منشورات دحلب،الجزائر،1997، ص35.

[2] عبد الحميد زوزو، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900،د ط، موفم للنشر، الجزائر،2010، ص242.

[3] حميد قريتلي، أضواء على التنصير في الجزائر1830-1892، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، جامعة الجزائر، 2012-2013، ص319.

[4] مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تح: حنيفي بن عيسى، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص275.

تم استدعائها من قبل الأسقف بافي والتي وصل أعضائها سنة 1844 إلى وهران، وكانت لها فروع في كل من وهران تضم 45 راهبا، وفي تلمسان، معسكر، غليزان، وفي سنة 1891 استقر ثلاثة من هذه الجمعية بقسنطينة[1].

كانت هذه أهم الجمعيات التبشيرية التي أقيمت بالجزائر في المراحل الأولى من الاحتلال، وقد توالت الجمعيات التنصيرية المسيحية التي أقيمت بالجزائر في مراحل لاحقة كان أهمها على وجه التحديد لا الحصر "**جمعية الآباء البيض**"(Les Pères Blance) والتي تعرف باسم "جمعية المرسلين إلى إفريقيا" (Société Des Missionnaires d'Afrique)، وهي جمعية إرسالية كاثوليكية أنشئها الأب شارل ألمان لافيجري (Lavigerie Allemand Charles) وسميت بالآباء البيض للباس أعضائها ثم ضم إليها جمعية الأخوات البيض سنة 1869[2].

وقد منحت فرنسا لهذه الجمعيات كل الصلاحيات لمباشرة عملها ونشر فكرها التنصيري، وهو ما نلمسه في نشاط هذه الأخيرة والذي مس عديد المجالات منها التعليم، ففي هذا الجانب سخرت كل إمكانياتها المادية والمعنوية فقامة المدارس وتعليم الناشئة تعاليم المسيحية[3]، كما جعلت من ميدان التطبيب والاستشفاء وسيلة لبث نشاطها التنصيري وذلك من خلال استقدام الأهالي إلى

[1] محمد قريتلي، المرجع السابق، ص326.

[2] عبد العزيز خواجة، مؤسسة الاباء البيض: الفضاء الديني و الاقتراب المجتمعي–ملامسة سوسيو –تاريخية بمنطقة غرداية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية، ع2، جوان 2012، ص39.

[3] حياة طويل، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830–1962، مجلة القرطاس، ع5، 2017، ص324.

المستشفيات التي أقاموها لهذا الغرض أو علاج المرضى في منازلهم قصد التقرب منهم والتأثير فيهم، وتقديم مختلف المساعدات باسم المسيحية[1].

ولم تقتصر مهام تلك الجمعيات التنصيرية على التعليم والتطبيب فحسب بل تعدتها إلى الأعمال الخيرية التي كانت بمثابة السلاح الأول الذي عمدت إليه الحركة التنصيرية الفرنسية بالجزائر للوصول لقلوب الجزائريين وفتنهم في عقيدتهم، وقد كان الكاردينال لافيجري أكثر المنصرين اضطلاعا بهذه المهمة من خلال قيامه ببناء العديد من دور الأيتام، وتوفير وسائل المعيشة لهم لكنه بذلك كان يعزل هؤلاء عن ذويهم وإخوانهم المسلمين[2] وهو ما يصبو إليه منذ البداية.

ومن هنا تتجلى أهمية العمل الخيري في المشروع التنصيري الفرنسي بالجزائر، والذي يرمي إلى استمالة قلوب الجزائريين وغرس المسيحية في أوساطهم مقابل بعض الخدمات التي كانت تقدمها الجمعيات والأسقفيات الفرنسية المسيحية، وعلى الرغم من تمكن الحركة التنصيرية من تثبيت جذورها بالمجتمع الجزائري إلا أن هذه الأخيرة قوبلت بالرفض في العديد من المناطق أين اشتعل فتيل الثورة والمقاومة ضد هذا المشروع الصليبي الذي جاءت به فرنسا منها مقاومة المقراني 1871 التي كانت كرد فعل ضد تصرفات المبشرين الفرنسيين بمنطقة القبائل، فضلا عن امتناع الجزائريين عن الذهاب

[1] المرجع نفسه، ص325.

[2] عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان و ميزاب سنتي 1920-1954، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ معاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، بوزريعة، الجزائر،2007-2008، ص95.

إلى مراكز العلاج التي كان يشرف عليها دعاة التنصير ورفض كل المساعدات المقدمة من طرفهم[1].

ثالثا – أهداف المشروع التنصيري الفرنسي بالجزائر:

لم يكن المشروع التنصيري في الجزائر إلا نموذجا عن المشروع التنصيري الصليبي التي تبنته الكنيسة، فهو حقيقة ملموسة صنعتها فرنسا وجسدتها، وقد كانت أهداف هذا المشروع الصليبي الفرنسي بالجزائر متمثلة في:

- هدم الإسلام في قلوب المسلمين وزعزعة العقيدة، وقطع صلتهم بالله وتحويلهم من عقيدتهم التي هي الإسلام إلى اعتناق العقيدة النصرانية بل وحتى جعلهم يتحولون من الإسلام إلى الكفر والإلحاد، وهو ما كان يرمي إليه دعاة التنصير في الجزائر.

إذ لا يكفي فقط حسب هؤلاء تغيير الجزائريين لعقيدتهم فقط وإنما دفعهم إلى التكفير بالله والشرك به بكل ما يمت بالدين الإسلامي بصلة.

- إخضاع العالم الإسلامي لسيطرة الاستعمار والتحكم في مقدراته وإمكاناته، وفرض ثقافته عليه[2]، وقد كانت سياسة فرنسا بالجزائر في جلها ترمي إلى هذا الهدف فقد رسمت نفس المخططات والأهداف التي تبنتها الحركة التنصيرية، لذلك كانت السياسة هي إحدى أكثر الوسائل التي دعمت المشروع النصراني الفرنسي بالجزائر.

[1] حياة طويل، المرجع السابق، ص327.

[2] فاتح حليمي، المرجع السابق، ص134.

كان الاستيلاء على المؤسسات الإسلامية بالجزائر جزءا من أهداف الحركة التنصيرية الفرنسية، إلى جانب القضاء على مقومات المجتمع الجزائري تمهيدا لفرنسته وتغريبه، لذلك اعتبر زعماء فرنسا ومنظري السياسة الاستعمارية في الجزائر أن فرنسة المجتمع الجزائري مرهون بتنصيره، لأجل ذلك تهاطل المنصرون على الجزائر وانتظموا ضمن جمعيات ومؤسسات تحقيقا لهذا الهدف[1].

عموما كانت هذه أبرز الأهداف التي سطرها المشروع التنصيري الفرنسي بالجزائر.

[1] عبد القادر بوتشيشة، لافيجري و التنصير في الجزائر: ضخامة الإمكانيات و الجهود و ضآلة النتائج و المردود، مجلة آفاق علمية، مج11، ع02، 2019، ص659.

الفصل الأول

الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري

المبحث الأول: التوغل الفرنسي بالجنوب

المبحث الثاني: بدايات الحركة التنصيرية بالجنوب

المبحث الثالث: المؤسسات والجمعيات التنصيرية بالجنوب

تمهيد:

تعتبر الحركة التنصيرية في الجزائر مشروعا استعماريا ذو أبعاد وتوجهات مختلفة (سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية ثقافية)، هذا المشروع الذي بدأت جذوره الأولى في شمال الجزائر، مع البدايات الأولى لعملية الغزو الفرنسي، أين باشر دعاة النصرانية نشر تعاليم المسيحية في كل مناطق الجزائر (منطقة القبائل، والشرق الجزائري) من أجل تكريس الروح الصليبية بالمنطقة، والتي امتدت لتشمل مناطق أخرى كانت تشكل أكثر المناطق استقطابا للعنصر الأوروبي خاصة الفرنسي ودون شك دعاة الغزو والتمسيح بعد مناطق الشمال والشرق والغرب، وهي منطقة الجنوب الجزائري.

شكل الجنوب الجزائري بمختلف مناطقه محل أطماع الاستعمار الفرنسي، الذي كان يرى في المنطقة مشروعا استعماريا فرنسيا قائما بذاته بغض النظر عن بقية المناطق، والذي من شأنه أن يخدم و يحقق مطامع ومطامح فرنسا في نشر النصرانية وتدعيم المؤسسة التنصيرية بالجزائر عامة.

وسنحاول في هذا الفصل أن نبرز ملامح الغزو والتوغل الاستعماري الفرنسي بالجنوب الجزائري والذي كان حتما سببا في النشاط التنصيري بالمنطقة، واستنادا إلى ذلك يمكن أن نتحدث بإسهاب عن عمليات التوغل الفرنسي بالجنوب الجزائري والتي مهدت لها عديد الاستكشافات والحملات الاستطلاعية للمنطقة، والتي كانت سببا في فتح الطريق أمام العديد من المبشرين والدعاة النصرانيين الذين باشروا حركتهم التنصيرية بالجنوب.

المبحث الأول: التوغل الفرنسي بالجنوب الجزائري:

أولا- الحملات الاستكشافية والاستطلاعية الفرنسية:

تعود بدايات الاهتمام الأوروبي عامة والفرنسي خاصة بالتوسع في الجنوب الجزائري إلى ما قبل الحملة الفرنسية على الجزائر، والتي كانت من قبل بعض الشخصيات المولعة بالمغامرة والبحث، أين قدموا بعض المعلومات بخصوص الجانب الطوبوغرافي والديموغرافي للمنطقة.

ولأن الصحراء بتضاريسها وطبيعتها القاسية تعتبر حاجزا أمام كل محاولات التوغل، الأمر الذي حال دون اكتشافها، لكن مع توالي الحملات الاستعمارية على العديد من المناطق من الجزائر، أضحت الصحراء وجهة ومحط أنظار العديد من المستكشفين والمغامرين الفرنسيين منهم والأوروبيين الذين باشروا حملات الاستطلاع والاستكشاف في هذا الجزء الهام من الجزائر[1].

وأهم الحملات الاستطلاعية والعمليات الاستكشافية الفرنسية للجنوب الجزائري نذكر:

1- رحلة روني كاييه (Rene Caille):

باشر رحلته من تومبوكتو سنة 1827 مدعيا أنه مصري تربى في فرنسا، وصل هذا الأخير إلى نهر النيجر في 11 مارس 1828 منها إلى تومبوكتو، قام هذا الأخير بوصف هذه المدينة وصفا دقيقا، وبعد أن اكتشف هذه المدينة توجه منها إلى مدينة طنجة مرورا بالصحراء أين حل بمنطقة توات[2] وتافيلات

[1] محمد مرغيت، المرجع السابق، ص117.

[2] توات: تقع في الجنوب الغربي الجزائري، و تمتد منطقة توات على الهضبة السهلية الواقعة جنوب وادي الساورة، تضم عدد من الواحات والقصور...، أنظر: محفوظ رموم، توات الجغرافيا و المصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية و الأجنبية، مجلة الحوار الفكري،د ع، د ت ن، ص82-83.

التي وصل إليها في شهر جويلية وفي الشهر الموالي دخل مدينة فاس المغربية[1].

تعد رحلة روني كاييه أول رحلة فرنسية بالجنوب الغربي الجزائري، والتي من خلالها نقل كما من المعلومات بخصوص جغرافية المنطقة وحضارتها، وكان أول اسم يرد عن توات بهذه الرحلة إذ لم يسبق أن ذكر اسمها من قبل كما لم ترد أي إشارات عن ذلك سابقا، ومن خلال هذه الرحلة حاز كاييه على جائزة الجمعية الجغرافية الباريسية[2].

2- رحلة إيجان دوماس (Daumas):

قام إيجان دوماس بثلاث رحلات لاستكشاف الجنوب الجزائري، أين باشر رحلته الأولى سنة 1843 من الجزائر إلى ورقلة، وخلال رحلته هذه مر على المدية و تحديدا على كل من البرواقية وسهل تاغية، ثم جبال العمور منها إلى الأغواط التي وصلها خلال 15 يوما من رحلته.

أما رحلته الثانية فكانت صوب تقرت منطلقا من المسيلة ثم بوسعادة وبعد اكتشافه لهما توجه إلى الزيبان أين وصل إلى بسكرة في اليوم الثاني من الرحلة ليتوجه بعدها إلى تقرت، وخلال هذه الرحلة اكتشف العديد من الطرق منها الطريق الرابط بين تقرت وغرداية، والطريق الرابط بين تقرت والأغواط، وبعد أن تعرف على مناطق الجنوب الشرقي وجه دوماس اهتمامه إلى مناطق

[1] عبد القادر بوباية، دور الرحالة و المستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة عصور الجديدة، ع5/4،ديسمبر 2023-جوان2004، ص156،.

[2] أحمد بوسعيد، الرحالة و المستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر و دورهم في احتلال المنطقة، مجلة عصور الجديدة، مج10،ع4،ديسمبر2020، ص315.

الجنوب الغربي وبالضبط نحو عين صالح ثم فقيق[1] منها إلى تيميمون واصفا قبائلها وطبيعتها[2].

3- رحلة دوفيري(Duveyrier):

باشر دوفيري رحلته سنة 1857 والتي كانت رحلة استطلاعية بداية الأمر نحو مدينة الجزائر ومناطق أخرى كالهضاب العليا والأغواط وكذلك الجانب الصحراوي من الأوراس أين تأثر كثيرا بالصحراء ومناظرها وسكانها، وعند عودته من رحلته نشر مقالات عن القبائل البربرية في مجلة الجمعية الشرقية في برلين، ولكن سرعان ما عاد هذا الأخير لمواصلة رحلاته في الجنوب الجزائري، وبعد أن تلقى تشجيعا على ذلك من قبل المستكشف "هنري بارث" واتصاله بالكثير من المختصين الأوروبيين بشأن الصحراء، وبعض المستشرقين أمثال "رونان" الذي ساعده في معرفة السلالات الصحراوية، وفي سنة 1859 توجه دوفري إلى الجزائر، ثم زار بعد ذلك غرداية[3]، ومنها إلى متليلي[4] ثم توات والتوارق في نفس العام ثم تقرت سنة 1860، ثم بسكرة[5].

4- رحلة جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs):

[1] **فقيق:** منطقة تقع في الجهة الغربية للجزائر و بالضبط في الحدود المغاربية الجزائرية نواحي منطقة تلمسان.

[2] مصطفى بن واز، المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية "دوماس إيجان نموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، ع1، يناير 2020، ص249-250.

[3] إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص83-84.

[4] متليلي: إحدى بلديات ولاية غرداية في الجنوب الجزائري، تبعد عن غرداية مسافة 45 كلم جنوبا، وصفها العديد من الرحالة و دون أخبارها منهم النقيب دوماس...أنظر: سليمان بن الصديق، تاريخ مدينة متليلي في نصوص الرحالة و الجغرافيين، مجلة واحات للبحوث والدراسات، مج9،ع1،2016، ص862-863.

[5] إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري1881-1912، الجزائر، 1996، ص54.

كان من المشاركين في اللفيف الأجنبي الفرنسي، بدأ رحلته سنة 1862 من تافيلالت، ثم قام برحلة ثانية لكن مقاومة أولاد سيدي الشيخ منعته، ثم عاد إلى تافيلالت ليواصل رحلته بعدها رفقة ثلاثة من الأهالي إلى توات ثم إيقلي منها إلى بني عباس وصلا إلى أدرار، ليتجه بعدها إلى الجهة الجنوبية الشرقية نحو عين صالح وقدم وصفا دقيقا عنها يعتبر الأول لها في العالم[1].

لتتوالى بعدها الرحلات والاستكشافات للجنوب الجزائري منها رحلة "بول سوليه" سنة (Paul Soleillet) 1872 إلى الجزائر منها إلى عين صالح، بعد أن كان قد اتجه إلى الأغواط ثم غرداية فمتليلي وعن رحلته يقول في مذكراته: "**اليوم أبدأ أخيرا الرحلة الاستكشافية الحقيقية، حيث سأتواجد في أصقاع ليست معروفة كثيرا** ...."، لكنه لم يتمكن من اكتشاف عين صالح رغم وصوله إليها بسبب جماعة القصبة[2] التي لم تسمح له بذلك[3].

ليواصل من بعده اكتشاف الصحراء كل من "دورنو" و "جوبار" اللذان توجها إلى تقرت سنة 1874، لكن الرحلة باءت بالفشل لافتراق أعضائها[4].

وخلال تسعينيات القرن 19 قاد "غاسطون ميري" (Gaston Méry) بعثتين نحو الصحراء الجزائرية، الأولى كانت سنة 1892 والثانية أواخر 1892 ومطلع سنة 1893، استكشف خلالهما عدة مناطق منها منطقة الوادي، طريق تقرت، حاسي ميلود، البيوض، وبلاد التوارق التي أنجز لها

[1] عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص158.

[2] جماعة القصبة: يقصد بها هنا جماعة قصبة غرداية، وسميت بالقصبة نسبة إلى قصبة غرداية.

[3] إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص59

[4] نفسه، ص60.

خرائط كما دون ملاحظاته حول التركيبة الجيولوجية لها، ومن بعده بعثة "فلامون" إلى عين صالح في خريف 1899[1].

5- التغلغل(التوسع) العسكري الفرنسي بالجنوب:

كان لموجة الحملات الاستطلاعية والبعثات والرحلات الاستكشافية الفرنسية للجنوب الجزائري دور في وقوع عديد المناطق من الجنوب تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، هذا الأخير الذي استغل معلومات الرحالة والمستكشفين حول المنطقة لتنفيذ مخططاته التوسعية.

هذا ويعود اهتمام الفرنسيين بعديد المناطق الصحراوية خاصة الواحات منها إلى تحول هذه الأخيرة إلى معاقل ومراكز للثوار والمجاهدين الفارين من الشمال والذين اتخذوا منها معاقل للاعتصام وإعادة تنظيم صفوفهم وإعلان المقاومة مرة أخرى[2].

أمام هذا الوضع توجهت فرنسا إلى أسلوب السلاح لإخضاع هذه المناطق مستغلة في ذلك ما قدمته الرحلات والاستكشافات من معلومات كان لها الدور في تسهيل عملية التوغل العسكري بالمنطقة، أين باشرت فرنسا أولى عمليات التغلغل والتوسع بالجنوب الجزائري عبر احتلال بسكرة سنة 1844 ثم احتلال واحة الزعاطشة سنة 1849، ومع مطلع سنة 1852 هاجم الفرنسيون الأغواط وقاموا باحتلالها بعد اشتباكات مع شريف ورقلة الذي اضطر إلى

[1] عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية و دور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث و معاصر، جامعة سيدي بلعباس، 2019-2020، ص52-55

[2] يحيى بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين بمنطقة الصحراء من خلال الاستكشافات، مجلة الأصالة، ع2، الجزائر،1971، ص53.

الانسحاب، وبسقوط الأغواط أصبحت نقطة ارتكاز استراتيجية باعتبارها بوابة الصحراء[1].

وخلال سنة 1882 قامت القوات الفرنسية بالزحف على بني ميزاب، واقتحام المنيعة سنة 1891 وجعلها مركز عسكري، وسنة 1899 أرسلت بعثة من ورقلة إلى عين صالح والتي هاجمها سكان المنطقة[2].

تواصلت التوسعات الفرنسية بالجنوب ، خصوصا الجنوب الغربي أين أرسلت سنة 1900 "**مينيستـرال**" لإخضاع قصور قورارة[3]، ومنها إلى إنشاء طابور جديد لاحتلال إقليم توات بقيادة الجنرال "**سـرفيار**"، وتم إخضاع إقليم توات للسلطة الفرنسية في 10 فيفري 1901، وفي نفس العام تم إخضاع منطقة الساورة وبني عباس وتنصيب الحاميات العسكرية بها، بعد هذا تم إخضاع إقليم الساورة سنة 1903 بعد طلب سكانها الأمان من الحكومة الفرنسية، ومن بعدها بشار في نفس العام[4].

لتتوالى بعدها عمليات إخضاع مناطق أخرى من الصحراء الجزائرية، أين تم إخضاع تمنراست سنة 1904، ثم إيليزي 1908 واحتلال الساورة نهائيا سنة 1912[5].

---

[1] عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009، ص43-46

[2] نفسه، ص49.

[3] قورارة: تتموقع شمال إقليم توات من حدود تسابيت جنوبا، إلى تبلكوزة شمالا و لها حدود جغرافي مع ولايات البيض، غرداية بشار....أنظر: عبد الله طيبي، قورارة تراث و ثقافة، مجلة البدر، ع9، 2017، ص605.

[4] إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص115-119.

[5] عميراوي أحميدة، ص 53-56.

تمكنت فرنسا بعد احتلالها لعين صالح و الساورة وعديد المناطق الأخرى من إحكام سيطرتها على الجنوب الجزائري رغم الحركات الثورية التي شهدتها المنطقة والتي كادت أن تعم أطراف الصحراء هذا من جهة، من جهة أخرى كان للطبيعة الجغرافية الصحراوية دور في إعاقة عملية التوسع الفرنسي بالصحراء لكن مرسوم 1902 الذي نص على إخضاع المنطقة الصحراوية للنظام العسكري[1] ساهم بشكل كبير في إخماد فتيل الانتفاضات الشعبية بالمنطقة وضمان السيطرة عليها.

المبحث الثاني: بدايات الحركة التنصيرية بالجنوب الجزائري:

أولا- بدايات النشاط التنصيري بالصحراء الجزائرية:

تميز التوغل الفرنسي نحو الجنوب الجزائري بالتوسع والانتشار شأنه شأن باقي المناطق التي تعرضت للغزو الفرنسي، والسبب يعود إلى رغبة الإدارة الاستعمارية في إحكام سيطرتها على كل الصحراء الجزائرية هذا من جهة، من جهة أخرى كانت الإدارة الاستعمارية ترمي من خلال عملية التوسع واحتلال مختلف المناطق إلى جعلها مراكز استراتيجية عسكرية الغرض منها تحقيق مساعيها الاقتصادية والعسكرية في المنطقة، خاصة وأن الصحراء تمثل مركز عبور القوافل التجارية.

لكن هذا لا يكفي لتحقيق أهداف فرنسا التوسعية في المنطقة، فلطالما اقترن المشروع الاستعماري لفرنسا بالمشروع الصليبي كما سبق وأشرنا أنفا، هذا الأخير الذي من شأنه أن يحقق أهداف فرنسا في الجنوب الجزائري.

[1] أحمد مريوش، السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري و ردود الفعل الوطنية ما بين 1900-1930،مجلة المصادر، ع20، د ت، ص194.

وهو ما يستدعي أن نقف عنده لما له من أهمية في معرفة دور النشاط التنصيري في حركة التوسع الفرنسي نحو الجنوب.

تعود البدايات الأولى للمشروع التنصيري الفرنسي بالجنوب الجزائري إلى استراتيجية الكاردينال شارل لافيجري التنصيرية الذي استحدث نظام أو ما يسمى بالآباء البيض بالصحراء الجزائرية لأجل بث نشاط الحركة التنصيرية الفرنسية التي امتدت جذورها من الشمال نحو الجنوب.

هذا الأخير لم يقتصر نشاطه على المناطق الشمالية فحسب بل امتد نحو مناطق الصحراء التي كان يرمي إلى تنصيرها في إطار الإخضاع السلمي للمنطقة، خاصة مع فشل عديد الحركات الثورية في المنطقة، وقد أشار أبو القاسم سعد الله إلى طموحات فرنسا التنصيرية بالمنطقة بقوله: "....**ألفت إرساليات تنصيرية هدفها نشر المسيحية وتسهيل مهمة فرنسا في الاستيلاء على المناطق الصحراوية بالاستعانة بالقادة العسكريين المتحمسين للاستعمار الديني**"[1].

هذا وقد كانت الحركة التنصيرية الفرنسية بالجنوب الجزائري بدعم من الكنيسة التي كانت تبارك المشاريع الاستعمارية وتغلغل الجيش في المناطق النائية مثل الصحراء، فباركت مشروع التنصير في الصحراء فالسيف والصليب كانا يسيران جنبا إلى جنب في الجزائر[2]، هذا التأييد والمباركة من قبل الكنيسة للنشاط التنصيري في الصحراء استغله لافيجري لفتح باب التنصير على

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954،ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1998، ص130.

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1992 ، ص374 (بتصرف).

مصراعيه مدفوعا بالعمل الإنساني الذي يقدمه للأهالي جراء أحداث المجاعة – مجاعة 1867– والتي كانت كلها باسم الصليب.

فقد كان مشروع لافيجري وفرنسا معا على وجه الخصوص ولمتمثل في فتح وتهيأت الصحراء للمبشرين من بين الأهداف التي تعاونت كل من الكنيسة والسلطة الاستعمارية لتحقيقها[1]، لذلك عمل لافيجري إلى تهيأت وإعداد مناطق مناسبة وجعلها مراكز تنطلق منها عملية التبشير و التنصير نحو باقي المناطق، ولأجل ذلك باشر عمله في إيجاد مناطق تبشيرية متقدمة تساعده على الاطلاع على المنطقة (الصحراء) وسكانها.

فكانت البداية بتشكيل إرساليات تنصيرية نحو مناطق الجنوب الجزائري و التي من شأنها أن تضع اللبنة الأولى للمشروع التنصيري الصليبي الفرنسي بالصحراء الجزائرية.

ثانيا: الإرساليات التنصيرية الفرنسية نحو الصحراء الجزائرية:

أ- نحو الأغواط:

كانت أولى الإرساليات التنصيرية التي تم إرسالها إلى الجنوب الجزائري متمثلة في بعثة تتكون من ثلاثة من الأخوات البيض متوجهة نحو مدينة الأغواط وذلك في ديسمبر من عام 1870، وقد وصلت هذه البعثة إلى المدينة بعد ستة أيام من السفر الشاق والمتعب[2].

ب- نحو وادي ميزاب(غرداية والمنيعة):

[1] اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق،ص120.

[2] خيرة بلعربي، نشاط المبشرين و أهم المناطق التنصيرية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، مجلة الحقيقة، ع2، 2018، ص343-344.

بعد هذه البعثة تم توجيه بعثة أخرى نحو منطقة ميزاب، فبعد أن تم تعيين الأب " شارموتان" (Charmota) رئيسا لمركز الأغواط، توجه هذا الأخير في رحلة إلى ميزاب في خريف 1872 ودامت الرحلة شهرا كاملا، رصد فيها حال وأحوال سكان المنطقة[1]، هذا وقام أيضا بمحاولة لإقناع أحد سكان المنطقة ليبيعه منزله وقطعة أرض، إلا أن هذا الأخير رفض عرضه.

وأمام المحاولات المتكررة للأب "شارموتان" تدخل "لافيجري" وبعد عدة محاولات منه مع صاحب المنزل تمكن أخيرا من أقناعه وشراء المنزل، والذي جعل منه مركزا لدعايتهم ونشاطهم التبشيري والتنصيري في وسط مدينة متليلي[2].

لم يتوقف نشاط المنصرين الفرنسيين في منطقة وادي ميزاب إلى هذا الحد فحسب، إذ تواصل ليمتد إلى عدة مناطق من ميزاب منها مدينة غرداية التي أصبحت مركزا دينيا سنة 1884 برئاسة الأب "تولوت"، هذا الأخير الذي كان المرشد والموجه للإرساليات التنصيرية بالمنطقة، لتمتد بعدها الإرساليات التنصيرية إلى مدينة "المنيعة"، التي وصل إليها الآباء البيض سنة 1892[3].

أين انتهج المنصرون عديد الطرق من أجل نشر دعايتهم التنصيرية والترويج لها في أوساط الأهالي، ومن بين هذه الطرق بنائهم لدور الأيتام وسط المدينة، وكان الأطفال الذين تضمهم هذه الدور من أمهات جزائريات تنصرن وكن متزوجات بعسكريين فرنسيين، وقد تم جمع هؤلاء الأطفال الأيتام من مناطق عديدة من الصحراء الجزائرية.

---

[1] حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات و ضلال اللوحات و في الكتابات الغربية، د ط، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع،2018،ص142.

[2] عبد العزيز خواجة، مؤسسة الآباء البيض: الفضاء الدينيو الاقتراب المجتمعي ملامسو سوسيو–تاريخية بمنطقة غرداية، د اسم مجلة، ع9، 2012،ص40.

[3] خيرة بلعربي، المرجع السابق، ص346.

يضاف إلى هذا و في إطار الدعاية للنشاط التنصيري بالمنطقة، قام دعاة التنصير بالتقرب من النسوة من خلال إتاحة مراكز حرفية منها للخياطة والنسيج وذلك لتعليمهن، دون أن ننسى مسألة التطبيب التي كانت المنفذ الأمثل للمنصرين للتغلغل في أوساط الأهالي وخصوصا العنصر النسوي، أين مكنت خدمات الأخوات البيض المقدمة للنساء في مجال الاستشفاء من التقرب من هذا العنصر هذا من جهة.

من جهة أخرى عمد بعض المبشرين و دعاة التنصير إلى منح إقطاعات فلاحية لعدد من المتنصرين من سكان الصحراء الذين جيء بهم وتم إسكانهم بالمنيعة، كل هذا من شأنه أن يقرب هؤلاء ويزيد من حظوظ وفرص انتشار النصرانية بالمنطقة بفضلهم، وذلك من خلال سياسة الاستمالة الممارسة من قبل دعاة التنصير[1].

ج- نحو ورقلة:

إلى جانب كل من الأغواط و وادي ميزاب استهدفت الحركة التنصيرية الفرنسية مناطقة أخرى من الجنوب الجزائري في إطار توسيع مشروعها التنصيري في المنطقة، وقد شكلت ورقلة هي الأخرى إحدى المناطق التي استهدفتها السياسة التنصيرية الفرنسية.

ورقلة التي كانت قد وقعت في يد القوات الفرنسي خلال عمليات الغزو العسكري للصحراء الجزائرية وذلك سنة 1854، لكن سرعان ما عادت الاضطرابات فيها بسبب ثورة الشريف بوشوشة، التي تصدت لها القوات

[1] عبد الرحمان نواصر، السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873-1962-منطقة المنيعة نموذجا-، مجلة روافد للبحوث و الدراسات، ع1، ديسمبر2016، ص115.

الفرنسية بقيادة "دولاكروا" (Delacroix)، لتتمكن بعدها من احتلال المنطقة من جديد عام 1872 وتستقر بها القوات الفرنسية نهائيا عام 1882.[1]

وبعد أن استقر الحكم العسكري الفرنسي بالمنطقة جاء الدور على دعاة التنصير لمواصلة نشاطهم التبشيري بالجنوب الجزائري والتوغل أكثر فأكثر، فكانت ورقلة قبلة لرواد التنصير، أين تمكن "لافيجري" من إنشاء مركزية لآباء البيض بها منذ سنة 1873 وبقيت هناك إلى غاية 1881 عند ثورة بوعمامة، ولم ترجع إليها إلا بعد سنة 1891.[2]

وكانت الأساليب التي اتبعها المنصرون في المنطقة هي نفسها الأساليب المنتهجة من قبل في كل من الأغواط وميزاب، وذلك من خلال فتح ورشات للتعليم وتلقين مختلف الحرف وكذلك التطبيب كوسائل للتقرب من سكان الجنوب واستمالتهم والغاية هي تنصيرهم وتمسيحهم.

د- نحو الزيبان:

بعد أن استقر الأمر للنشاط التنصيري بورقلة واصل دعاة التنصير نشاطهم لبث سموم التنصير بالصحراء مستعملين في ذلك نفس الوسائل والطرق التي استعملوها في المناطق الجنوبية السابقة الذكر.

فكانت الوجهة الموالية للإرساليات التنصيرية الفرنسية هي منطقة الزيبان التي زارها "لافيجري" سنة 1886 إلى غاية 1887 من أجل المعالجة الصحية،

[1] رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة نموذجا1844-1962، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث و معاصر، جامعة الجزائر2، 2011-2012، ص125.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص129.

وفي زيارته الثانية كلف كل من الأب "ديلاترز" و"تولوت" بمهمة بحث أثرية في المنطقة.

هذا وكان "لافيجري" قد انتهج نفس الأساليب التنصيرية التي لطالما انتهجها في سبيل نشر رسالته التنصيرية وتوسيع دائرة العمل التنصيري بالجنوب، والتي كانت من خلال استغلال الميدان الصحي و العمل الاستشفائي كوسيلة لتحقيق ذلك، حيث عمد لافيجري إلى بناء مستشفى عام 1889 للأهالي ببسكرة والذي يقع بالتحديد على بعد 300 متر من حديقة الكونت "لاندو" (Le Conte Landon)، وقد كان نصف هذا المستشفى مخصصا لإيواء فرقة إخوان الصحراء المسلحة التي أسسها "لافيجري" لحماية جمعية الآباء والأخوات البيض في المنطقة[1].

هـ- نحو إقليم توات:

إن الحركة التنصيرية التي قادها عدد من الرواد والمنصرين في مقدمتهم لافيجري لم تتوقف إلى هذا الحد ولم تكتفي ببث نشاطها في كل من وادي ميزاب والزيبان وحسب بل واصلت تقدمها بتقدم وتوغل القوات الفرنسية نحو الجنوب.

أين كانت الوجهة التالية لدعاة التنصير بعد ورقلة والزيبان هي التوغل نحو إقليم واحات توات وعين صالح، والتي تمكنت منها وبطرق أقل إثارة لمشاعر الساكنة وحميتهم الدينية، وذلك عبر استغلال التوجهات الاقتصادية الفرنسية بالمنطقة كوسيلة للتقرب من أهالي المنطقة، أين تم إقامة عدد من المؤسسات الاقتصادية والمراكز التجارية بالمنطقة، دون أن ننسى الدراسات

[1] عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية 1844-1962، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، د ت ن، ص35.

الانثروبولوجية والطوبوغرافية للمنطقة التي من شأنها تسهيل عملية التوغل والتوسع بالمنطقة، وهو ما تم فعلا أين تم احتلال توات سنة 1889 وعين صالح 1900[1].

هذا وتجدر الإشارة إلى اضطلاع لافيجري في العمل التنصيري بالمنطقة، يعود إلى سنة 1876 أين أرسل هذا الأخير عددا من الآباء البيض منهم الأب "بولميي" و"موريه" و"بوشاند"، لكن القساوسة الثلاثة تعرضوا للقتل من قبل الطوارق الذين كلفهم الكاردينال بمرافقتهم[2].

ومع مطلع القرن العشرين وبعد سيطرة القوات الفرنسية على منطقة الواحات بالصحراء الجزائرية، تمكن احد رواد التبشير وأشهرهم بعد لافيجري من مواصلة نشاط الحركة التنصيرية الفرنسية نحو عمق الجنوب الجزائري، وهو الأب "شارل دوفوكو" الذي بدأ نشاطه رفقة "هنري لابرين" (Henri Laprrine) الذي كان قد عين قائدا أعلى على منطقة واحات الصحراء[3].

ليباشر بعدها نشاطه وتوغله نحو الجنوب عبر عدة مناطق ومحطات حاول من خلالها بث كل ما يتعلق بالتنصير والتبشير.

المبحث الثالث: الهيئات والجمعيات التنصيرية بالجنوب الجزائري:

ارتكزت الحركة التنصيرية الفرنسية لأجل تحقيق مشروعا التنصيري على عدد من الهيئات والجمعيات مثلها مثل التي كانت متواجدة بالشمال وعديد المناطق الأخرى، هذه المؤسسات التي كان قد أسسها الكاردينال لافيجري،

[1] إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص307.

[2] اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص110.

[3] عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء...، المرجع السابق، ص121-122.

والـذي كـان يطمـح إلـى مواصـلة نشـاطه بـالجنوب عبـر هـذه الهيئـات والمتمثلـة أساسا في:

1- جمعية الآباء والأخوات البيض(1873-1891):

أسسـت هـذه الجمعيـة مـن قبـل شـارل لافيجـري عـام 1874م فـي ظـل المجاعـة التـي شـهدتها الـبلاد، وسـميت بالآبـاء البـيض تيمنـا بلباسـهم الأبـيض، وأصـل تسـمية هـذه الجمعيـة هـي "جمعيـة مبشـري السـيدة الأفريقيـة"، هـذه الجمعيـة كان لها عديد المراكز التبشيرية في الشمال منها إلى الجنوب[1].

ومـن بـين المراكـز التبشـيرية التـي كانـت تابعـة لهـذه الجمعيـة بالصـحراء الجزائرية نجد:

أ- مركز بسكرة:

شـكلت منطقـة الزيبـان إحـدى أبـرز وأهـم المراكـز التبشـيرية التـي اتخـذها دعـاة التنصـير منطلقـا لنشـاطهم التنصـيري نحـو الجنـوب الجزائـري فـي مقـدمتهم لافيجـري، الـذي جعـل منهـا نقطـة ارتكـاز فرنسـي لانطـلاق الدعايـة التبشـيرية أيـن أنشأ بها كنيسة سنة 1854[2].

هـذا وقـد كـان نشـاط الآبـاء البـيض بمعيـة لافيجـري ببسـكرة قـد اقتصـر فـي عمومـه علـى الأعمـال الخيريـة المقدمـة للأهـالي أيـن اسـتغل لافيجـري القحـط الـذي

[1] عبـد القـادر مرجـاني، السياسـة الفرنسـية و دور المستكشـفين فـي التوغـل فـي الجنـوب الجزائـري خـلال القـرن 19م،أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث و معاصر، جامعة سيدي بلعباس،2019-2020، ص133.

[2] قويـع عبد القادر، الحركة الإصـلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب بين سنتي 1920و1954، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ معاصر، جامعة الجزائر، 2007 -2008، ص112

أصاب بسكرة عام 1889، وعمل على توزيع مبلغ 6000 فرنك على 3000 من الأهالي[1].

على غرار دور التعليم التي أنشأتها الجمعية في المنطقة والتي من شأنها تستقطب عددا لا بأس به من سكان المنطقة خاصة فئة الأطفال والشبان الذين سيعودون بالنفع على الحركة التنصيرية والجمعية بالمنطقة، من خلال تقديم مختلف الدروس التي من شأنها أن تغرس كل ما تعلق بالديانة النصرانية من قيم ومبادئ في عقول الأهالي، ومن بين المدارس التي أقامتها الجمعية بالزيبان نجد مدرسة في مدينة طولقة وهي ملحقة بمدينة بسكرة، يتولى إدارتها القس "قانيون" وتضم نحو ثلاثة وعشرين تلميذا[2].

يضاف إلى هذا استغلال هذه الجمعية لمجال التطبيب لمزاولة نشاطها في المنطقة، أين كان عملها موزعا ما بين النشاط في المستشفى الذي أسسه لافيجري في بسكرة وبين العمل في المعامل التي فتحها المنصرون بالمنطقة، والجدول الموالي يوضح مراكز وأعمال الأخوات البيض في المنطقة[3]:

جدول رقم (01): يوضح مراكز وأعمال الأخوات البيض في المنطقة

المركز	تأسيسه	عدد الأخوات فيه	المعمل	الأيتام	المعالجون في المستشفى	المعالجون في المستوصف	في المنزل
بسكرة(معمل)	1893	6	75	/	/	14200	/

[1] سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892، د ط، دار الشروق للطباعة والنشر، 2009، ص190.

[2] أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، د ط، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية، بسكرة، 2008، ص87.

[3] عبد القادر قوبع، المرجع السابق ص113.

بسكرة(مستشفى)	1895	16	/	/	465	21900	3700

ب- مركز غرداية:

تعود البدايات الأولى لوجود الأخوات البيض في غرداية حسب إحدى الأخوات إلى سنة 1852، رغم محاولاتهم العدة للاستقرار بالمنطقة و التي استغرقت نحو اثني عشرة سنة ليستقروا أخيرا بها سنة 1872.

وخلال سنة 1892 وصلت الأخوات البيض إلى المنطقة منهن " الأخت جوزفين"(Josephine) والأخوات "لويز" (Louise) و"سان لوك" (Saint Luc) و "كلوتيد"(Clauthide).[1]

وقد كان للآباء البيض أيضا نشاط بالمنطقة إلى جانب الأخوات البيض، أين أسس هؤلاء مدرسة لهم سنة 1885 بأعالي مدينة غرداية، ونتيجة للخلافات بين التلاميذ اليهود والميزابيين تم نقل المدرسة إلى حي باب الراعي بوسط المدينة سنة 1887م[2].

ويتضح نشاط وأعمال الآباء البيض في منطقة غرداية من خلال الجدول الموالي[3]:

جدول رقم (02): يوضح نشاط وأعمال الآباء البيض في منطقة غرداية

المركز	تأسيسه	الآباء	المعمل	المدرسة	منصرين تماما	منصرين في طريق التنصير
غرداية	1884	3	/	85	8	16
القليعة	1892	4	15	39	31	36

[1] عبد العزيز خواجة، المرجع السابق، ص101-102

[2] المرجع نفسه، ص102-103.

[3] عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية...، المرجع السابق، ص142.

يتضح من خلال الجدول أن عدد المتنصرين من السكان أخذ في الارتفاع خلال ثماني سنوات من تأسيس أول مركز للآباء البيض في غرداية سنة 1884 ويعزى هذا الارتفاع في عدد السكان اللائي هم في طريق التنصير إلى عدد المعامل والمدارس التي فتحت باسم جمعية الآباء البيض في القليعة، ففي غرداية كان عدد المدارس نحو 85 مدرسة في ظل غياب المعامل، ومع تشكيل مركز القليعة تم تشييد المعامل التي بلغ عددها 15 معملا.

وقد مكنت هذه المعامل من استقطاب أكبر عدد من السكان نظرا لما توفره من خدمات وصناعات حرفية مثل صناعة النسيج، وكانت النسوة أكثر من يرتاد هذه المعامل، وبفضل ذلك تمكنت الأخوات البيض من الاحتكاك بهن بل وحتى زيارتهن في بيوتهن أن يتمكن من بث سموم التنصير في أوساطهن.

ج- مركز المنيعة:

ولأن التنصير في وادي ميزاب قد انتشر في كل من غرداية والقليعة، فقد كانت المنيعة هي الأخرى قبلة هامة لدعاة التبشير والتنصير في المنطقة، إذ لم تسلم هي الأخرى من النشاط التنصيري الفرنسي، فقد تم بث عدد من رجال الدين من الآباء البيض في المنطقة من أجل جمع المعلومات الكافية عن المناطق التي تريد التوسع بها، غير أن هؤلاء لم يفلحوا في مسعاهم إذ تعرضوا للقتل على يد سكان المنطقة جنوب مدينة المنيعة[1].

د- مركز ورقلة:

شكلت ورقلة هي الأخرى إحدى أكثر المناطق التي شملها التنصير ونشاط الآباء البيض، إذ تأسس أول مركز لجمعية الآباء البيض بورقلة سنة

[1] عبد الرحمان نواصر، المرجع السابق، ص114-115.

1873م و بقيت إلى غاية 1881م ليتناقص نشاطها في الجنوب الغربي بسبب تداعيات مقاومة الشيخ بوعمامة، لكنها سرعان ما عادت للنشاط من جديد سنة 1891م بعد تراجع مقاومة بوعمامة وتقهقره[1].

هذا ولا يخفى عنا أن مجيء الآباء البيض إلى ورقلة كان مرتبطا بمجيء الأب "ريتشارد" (Richard) الذي قدم من بسكرة على نية التمهيد لمشروعه التنصيري، أين مكث بـ "ورجلان" (ورقلة)، غير أن هذا الأخير لم يكتب له أن يحقق مشروعه التمسيحي إذ قتل من طرف شعانبة ورقلة بسبب عمله التبشيري.

لكن وفاة الأب "ريتشارد" لم يوقف النشاط التنصيري بورقلة فقد واصلت جمعية الآباء البيض النشاط التبشيري عبر عديد المؤسسات التي فتحتها بالمنطقة، منها المدارس والمصحات التي أسستها، كما كان للآباء البيض نصيب من الأراضي التي أخذوا يتوسعون بها، خاصة و أن الإدارة الفرنسية كانت تقدم لهم يد العون والمساعدة مقابل ما يقدمونه من معلومات عن القوافل التجارية و مختلف التحركات بالمنطقة التي من شأنها أن تخدم المشروع التوسعي الفرنسي بالصحراء الجزائرية[2].

فجمعية الآباء والأخوات البيض إلى جانب اضطلاعها بالعمل التنصيري بالجنوب الجزائري من جهة، كانت من جهة أخرى اليد الطولي في إنجاح المشروع الاستيطاني الفرنسي التوسعي بالصحراء الجزائرية وهذا من

[1] رضوان شافوا، المرجع السابق، ص242

[2] المرجع نفسه، ص244.

خلال ما يقدم من قبلهم من معلومات تخص البنية الطوبوغرافية والإثنية للمنطقة والتي استغلتها فرنسا للتوسع والتغلغل بالجنوب.

2- جمعية إخوان الصحراء المسلحة 1891م:

على غرار جمعية الآباء البيض والأخوات البيض التي أسسها شارل لافيجري في الجنوب الجزائري كان هناك هيئة وجمعية أخرى قام لافيجري بتأسيسها إلى جانب هذه الأخيرة لأجل حمايتها والدفاع عنها والتي أطلق عليها اسم "جمعية إخوان الصحراء المسلحة".

هذه الجمعية التي تأسست سنة 1891 في بسكرة وهي فرع من فروع جمعية الآباء البيض أسسها شارل لافيجري بدعوى حماية الرقيق في إفريقيا ومكافحة المتاجرة بهم، إلا أنها في الواقع كانت لغرض حماية أعضاء وعناصر الآباء والأخوات البيض في الجنوب الجزائري خاصة مع هلاك العديد منهم هذا من جهة، من جهة أخرى تسعى إلى فتح الطريق لقوات الاستعمار للتغلغل في الجنوب وبسط نفوذها[1].

وتعود فكرة تسليح هذه الجمعية إلى لافيجري الذي تقدم بطلب لدى المجلس الاستشاري الفرنسي لأجل الحصول على السلاح لأفراد الجمعية، ليتم عرض القضية بدورها على سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر في مقاطعاتها الثلاث بدءا بالحاكم العام على الجزائر ثم مقاطعتي وهران وقسنطينة، كما تم عرضها أيضا على وزير الخارجية الفرنسي، لتتم الموافقة أخيرا على منح

[1] محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، دار حلب، الجزائر،1997، ص39-50.

الـذخيرة والسـلاح لجمعيـة إخـوان الصـحراء التـي بـدورها سـتكون الحـامي للقـوات الفرنسية في نشاطها التوسعي نحو الجنوب[1].

وعمومـا يمكـن القـول أن الحركـة التنصـيرية بـالجنوب الجزائـري قـد بـدأت مـع بـدايات الغـزو الفرنسـي للجنـوب واقترنـت بـه فقـد كـان التوغـل الفرنسـي العسـكري نحـو الجنـوب البـاب الـذي ولجـت مـن خلالـه الحركـة التنصـيرية نحـو المنطقـة، فمـع احـتلال العديـد مـن المنـاطق الصـحراوية تـم بـث العديـد مـن الإرسـاليات التنصـيرية فـي مختلـف منـاطق الصـحراء الجزائريـة والتـي مـن شـأنها نشر الرسالة التنصيرية الفرنسية بالمنطقة.

وقـد ارتبطـت هـذه الإرسـاليات التنصـيرية بجهـود الكاردينـال شـارل لافيجـري، هـذا الأخيـر الـذي تـزعم حركـة التنصـير فـي الجزائـر مـن شـمالها إلـى جنوبهـا، ولأجـل ضـمان نجـاح المشـروع التنصـيري بالمنطقـة عمـد هـذا الأخيـر إلـى تأسـيس عـدد مـن الهيئـات و الجمعيـات، التـي مـن شـأنها ضـمان اسـتمرارية الحركـة الصـليبية المسـيحية بالمنطقـة مـن جهـة، وضـمان اسـتمرار التوسـع الفرنسـي وتغلغله بها من جهة أخرى.

[1] نفسه، ص51.

الفصل الثاني

شارل دوفوكو ونشاطه التنصيري بالجنوب

المبحث الأول: التعريف بشارل دوفوكو

المبحث الثاني: بداية نشاطه التنصيري بالجنوب

المبحث الثالث: أهم أعماله وإسهاماته

تمهيد:

إن الحديث عن المشروع التنصيري الفرنسي بالجزائر عامة والصحراء الجزائرية خاصة حديث طويل لا يكفي استظهار أهدافه وغاياته فحسب دون أن نربط هذا الأخير بالمشروع الاستيطاني الاستعماري الفرنسي الذي كان هو الغاية والهدف الذي من أجله تم تكريس الدعاية التنصيرية في العديد من مناطق البلاد خاصة الجنوب الجزائري منها.

ولأن التنصير كان قد انتشر في البداية في شمال الجزائر وبعض المناطق الداخلية منها وبفضل جهود الكاردينال شارل لافيجري وبمباركة من الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية، فقد انتشرت وامتدت جذور الصليبية والروح المسيحية نحو الجنوب الجزائري بفضل العديد من الجمعيات والهيئات التي كان على رأسها لافيجري، إلا أن هذا لا ينفي وجود أيادي أخرى كان لها الفضل في تنصير المنطقة ونخص بالذكر هنا الأب شارل دوفوكو الذي كان له باع طويل في مد الحركة التنصيرية بالمنطقة الجنوبية وتنصير أهلها ليمهد بذلك الطريق للتوسع الفرنسي بالجنوب واستيطانه.

فجاء هذا الفصل للحديث عن شخصية دوفوكو وإبراز نشاطه التنصيري بالصحراء الجزائرية وذلك من خلال المباحث التالية:

1-التعريف بشخصية شارل دوفوكو.

2-نشاطه التنصيري بالجنوب الجزائري.

3-أعماله وإسهاماته.

المبحث الأول: التعريف بشخصية شارل دوفوكو:

1-مولده ونسبه:

هو تشارلز-يوجين دي فوكو، ولد في ستراسبورغ في 15 سبتمبر من عام 1858م، لم يكن الطفل من الأصل الألزاسي فوالده هو فرانسوا إدوارد فيكونت دي فوكو(François-Edouard Vicomte de Foucauld)، نائب مفتش الغابات ينتمي إلى عائلة من (Périgord)، ووفقا لعلم الأنساب فإن اسم عائلة دي فوكو كان معروفا منذ 970 م، ويرجع ذلك إلى الجد هوغو دي فوكو الذي كان قد منح جزء من ممتلكاته إلى أديرة شانسيلارد (Chancelade) وسانت بيير .(Saint-Pierre).[1]

بعد ثلاث سنوات من ولادة تشارلز ولدت أخته ماري 1861م، والتي كان يدعوها بـ "ميمي" في مراسلاته، في الوقت نفسه مرض والده أين اضطر للعلاج في إحدى العيادات الباريسية، لتتحمل والدته "إليزابيث" جميع المسؤوليات، لذلك كان لها تأثير كبير على تشارلز أكثر من والده، وعند بلوغه الست سنوات توفيت والدته نتيجة الإجهاض سنة 1864، ومن بعدها والده الذي توفي هو الآخر في 9 من أغسطس من نفس العام، ليتيتم شارلز في سن مبكرة جذا، ليتولى جده من أمه العقيد "تشارلز جابرييل دي مورليت" تربيته[2].

2-تعليمه:

أ- المراحل الأولى:

[1] René Bazin, Charles De Foucauld Explorateur Du Maroc Ermit Au Sahara,Librairie Plon, Paris, 1921, p6.

[2] Bertrand Giguère,La Correspondance Entre Charles De Foucauld Et Marie Moitessier, Une Clef Importante deL'Accès à la contemplation Mystique chez Charles de Foucauld,Mimoire présenté à la faculté de théologieuses dans le cadre du programme de maitris en théologie, Université De Sherbrooke,Québec, 2010, p26.

بدأ شارل دوفوكو أولى مراحل تعليمه بالدراسة في مدرسة الأسقفية (Saint-arbogat) التي تأسست سنة 1851، وكان لجده العقيد "دي مورليت" علاقة طيبة مع أحد مديري هذه المدرسة والذي كان من أشهر علماء الآثار آنذاك، لكن ما لبثت أن أغلقت هذه المدرسة أبوابها سنة 1868م، ليلتحق دي فوكو بثانوية ستراسبورغ وبالتحديد في الصف السادس، و ما إن اندلعت الحرب الفرنسية الألمانية غادر مع جده إلى "برن" بسويسرا التي مكث بها إلى غاية نهاية الحرب، ليعود بعدها إلى فرنسا لكن هذه المرة قرر جده الاستقرار "بنانسي" بدل ستراسبورغ، أين قدم دي فوكو أول قربان مقدس في حياته بكنيسة نانسي سنة 1872[1].

ب- مدرسة سان سير Saint cyr(1876-1878):

بعد "نانسي" انتقل ديفوكو إلى باريس التي كانت محطته التالية أين تحصل فيها على شهادة البكالوريا، منها إلى الانخراط في الحياة العسكرية، حيث التحق بمدرسة سان-سير (Saint-cyr) سنة 1876م، وشكلت هذ الأخيرة أصعب مراحل حياته أين تعرض خلال إقامته بالمدرسة نتيجة سوء تصرفاته و إهماله إلى عدد من العقوبات منها 45 عقوبة و47 إيقاف وانخفضت رتبته من 386 إلى 333[2].

ج- مدرسة سومير (Saumur)(1878-1879):

وبحلول عام 1878م توفي جده وكان دي فوكو يبلغ من العمر 20 عاما أين كان في عامه الثاني في أكاديمية سان-سير العسكرية، وهو عامه

[1] Gorrée George, Sur Les traces de Charles de Foucauld, éditions du vieux colombier, paris, 1953, p14_17.

[2] عميراوي أحميدة، السياسة...، المرجع السابق، ص112.

الأخير في تكوينه العسكري، ليلتحق بعدها بمدرسة سومير (Saumur) للفروسية–الخيالة–، وبعد تخرجه تم تعيينه في فرقة "هوسارد"(Hussard) الرابعة المحصنة في "بونت–موسون"(Pontà-Mousson).[1]

وبحلول عام1880 انتقل دي فوكو رفقة فرقته–الفرقة الرابعة للفرسان– إلى الجزائر بعد أن غيرت الفرقة اسمها إلى فرقة صيادي إفريقيا الرابعة، والتي اسقرت بسطيف أين أخذ سلوك دي فوكو في الانحراف والاضطراب وعدم الانضباط داخل الفرقة.[2]

ونتيجة لسلوكه المنحرف تمت معاقبته ووضعه في إجازة بسبب سوء سلوكه، وبحلول سنة 1881 علم بأمر تكليف فرقة صيادي أفريقيا الرابعة لقمع تمرد الشيخ بوعمامة في جنوب وهران، تقدم بطلب لإعادة إدماجه بالجيش، بالفعل أعيدت إليه رتبته فالتحق بفرقته، أين بقي ثمانية(8) أشهر بالجنوب الوهراني رفقة كل من لابرين(Laperrine)، الملازم المترجم موتلنسكي(Motylinski)، والكونت كاستريز (H.Castries)، لكنه سرعان ما عاد ليتحرر من واجباته العسكرية بحلول مارس1882، حيث أعفي من واجباته كعسكري وكان شغوفا بفكرة استكشاف ودراسة الأراضي المغربية.[3]

ولأن حياة دي فوكو كانت مليئة بالتناقضات فقد دخل هذا الأخير في مرحلة تيه تعرف خلالها على دين الإسلام خلال تواجده بالجزائر والمغرب وكذلك بلاد الشام حتى أنه أعجب بهذا الدين وفكر في اعتناقه، لكن ما لبث أن عاد للمسيحية بعد أن زار كنيسة القديس أو غسطين بفرنسا وعين قسيسا

[1] Antoine Chatelard, Charles De Foucauld Journey to Tamanrasset,Claretian publications Bangalore,2013,p8-9.
[2] René Pottier,La Vocation Saharienne du Pére de Foucauld,poln,paris1939,p39.
[3] Gorrée George, op cit,p27_29.

فتغير موقفه من الإسلام كلية وعزم على محاربته[1]، وهو ما سنلمسه في نشاطه الجديد فبعد أن كان نشاطه عسكريا أصبح تنصيريا الهدف والغاية منه نشر مبادئ التنصير وتقويض الإسلام بالصحراء الجزائرية.

المبحث الثاني: النشاط التنصيري لشارل دي فوكو:

يعتبر الأب شارل دوفوكو من أخطر المبشرين في تاريخ التنصير بالصحراء الجزائرية والذي يقول عنه إسماعيل عربي: "..**أكبر مستكشف ديني للصحراء وأخطر المبشرين قاطبة وخطورة...إنه عقلية علمية من الدرجة الأولى – وهو خريج مدرسة سان سير–، وفي أنه يحمل في نفسه شعلة متقدة من الإيمان ويجد لذة في المتاعب وفي التضحية بالراحة...**"[2].

إذ يعد دوفوكو من أنجب تلاميذ شارل لافيجري فهو خريج مدرسته، وحامل رسالة النصرانية والمشروع التنصيري بكل أمانة وصدق، فرغم حياته المضطربة والماجنة إلا أنه تركها لأسباب لا نعلمها، وكرس نفسه للدين المسيحي وخدمته والاضطلاع برسالته، ليبدأ بعدها رحلته في طريق نشر النصرانية من خلال عدد من الرحلات الاستكشافية.[3]

فكانت بدايات عمله ونشاطه التنصيري عبر عدد من الرحلات نحو كل من المغرب والبلاد العربية منها نحو الصحراء الجزائرية.

1–رحلته لبلاد المغرب:

[1] كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص263.

[2] إسماعيل عربي، صحراء الجزائر وشواطئها...، المرجع السابق، ص112.

[3] محمد مرغيت، سياسة التنصير...، المرجع السابق (بتصرف)، ص124.

جاءت رحلة دوفوكو قبل احتلال المغرب بحوالي ثلاثين سنة، أي أواخر القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة 1883م، وقد أبان دوفوكو عن أهدافه التي يتوخاها من رحلته هذه، والتي تتعلق باستكشاف المنطقة المغربية خاصة المناطق المجهولة منها والتي تعرف بـ" السيبة"، معتمدا في ذلك على المسح الجغرافي لها المبني على الوصف الدقيق والموضوعي لكل منطقة وذكر خصائصها ومميزاتها التضاريسية وتكوينها الجيولوجي.[1]

هذا وقد تحول فكر دو فوكو نحو اكتشاف المغرب بعد القضاء على ثورة الشيخ بوعمامة رغم معارضة السلطات العسكرية لذلك، إلا أنه كان متمسكا بهذا المشروع الذي يرى فيه خدمة جليلة لفرنسا ستحتاج إليها فيما بعد، وقد أيده في هذا المسعى المكتشف والجغرافي "أوسكار ما كارتي" (Oscar Mac-arthy) رئيس الجمعية الجغرافية الجزائرية.[2]

وقبل أن ينطلق دو فوكو في تنفيذ مشروعه الاستكشافي كان لابد له من الاستعداد له جيدا وهذا من خلال تعلمه اللغة العربية في الجزائر ومختلف العلوم التي ستساعده في تنفيذ مشروعه، وقد ساعده في ذلك المكتشف "ما كارتي" محافظ المكتبة والمتحف الذي قدم له معلومات حول عادات ولغة سكان المغرب.[3]

---

[1] بشير البونوحي، رحلة شارل دو فوكو إلى المغرب (1883-1884) الأهداف والمسار، جريدة العرب للعلوم والإشهار، ع29، آذار 2021، ص686-687.

[2] محمد كرادي، صورة المغرب في مرآة الرحلة الكولونيالية "شارل دو فوكو نموذجا"، مجلة مدارات تاريخية، مج1، ع خ، أفريل 2019، ص80.

[3] حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، د ط، الجزائر، 2010، ص186.

يضاف إلى هذا تتكره في زي يهودي كي لا يكتشف أمره ويتم التعرف عليه حيث يقول عن ذلك: "**في 10 من يونيو 1883م دخلت بيتا قديما في الحي اليهودي بالجزائر العاصمة وهي مدينة الحاخام "مردخاي" شريكي الذي يعيش هناك مع أطفاله.... عند وصولي تركت ملابسي الأوروبية في منزله وأخذت الزي الإسرائيلي وهو عبارة عن قميص طويل بأكمام متدفقة، بنطال قماش يصل إلى الركبة، وسترة تركية من القماش، وفستان أبيض بأكمام قصيرة، إلى جانب غطاء للرأس(جلباب)، جوارب بيضاء، وحذاء مكشوف وقلنسوة حمراء وعمامة ونعل أعدت لي ...**".[1]

في20 يونيو 1883م غادر دو فوكو نحو المغرب رفقة **الربي "مردوشي"**، ومباشرة بعد وصوله إلى مدينة طنجة أخذ يبحث عن وسائل تساعده لمغادرتها نحو تطوان، وكان قد حضي بالحماية خلال تواجده بطنجة من قبل "**أرديكا**" وزير فرنسا الذي أوصاه الحاكم العام بالجزائر بحمايته وتزويده بمختلف المعلومات التي ستفيده خلال رحلته.[2]

بحلول اليوم الموالي 21 من يونيو1883 غادر دوفوكو طنجة[3] رفقة قافلة تتكون من ستة أو سبعة رجال معظمهم إسرائيليون وعدد من الدواب للحمل، ثم عبر بعدها سلسلة من الوديان والسهول إلى أن دخل وادي مراح[4]، وفي طريق رحلته كان يدون كل الأحداث والتفاصيل والملاحظات في كتيب

[1] René Bazin, Charles De Foucauld Explorateur Du Maroc Ermit Au Sahara, Librairie Plon, Paris, 1921, p21.

[2] شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883 – 1884، تر: المختار بلعربي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1999، ص11.

[3] طنجة: إحدى مدن شمال المغرب.

[4] Charles De Foucauld, Reconaissance Au Maroc1883 -1884, Librairie coloniale, Paris, 1888, p2.

صغير يحمله معه، هذا وواصل رحلته أين تمكن من اختراق جنوب المغرب لكنه سرعان ما عاد أدراجه نتيجة الأخطار المتزايدة وقلة التمويل، ليعود إلى الجزائر أخيرا بعد رحلة امتدت من 20 يونيو 1883 إلى غاية 23 ماي1884[1]، تمكن خلالها من زيارة واكتشاف عدد من المناطق المجهولة بالمغرب إلى جانب ما دونه وسجله من ملاحظات حول الأماكن والأخلاقيات والسلوكيات وأنواع اللباس وأنماط السلاح.[2]

2- رحلته لفلسطين والشام:

لم يكتف دو فوكو برحلته إلى بلاد المغرب وإنما كان له مشروع ثاني تمثل في زيارة كل من فلسطين وبلاد الشام.

في مستهل عام 1888 عزم دوفوكو على زيارة بيت المقدس، وكان ذلك في إطار النشاط الديني في المشرق والمغرب[3]، وكان يهدف من رحلته إلى فلسطين إلى تطهير نفسه وذلك بزيارة مهد المسيح بإيعاز من قس كنيسة "سانت - أوغسطين"، وقد مكث في مدينة "بيت لحم" مدة ثلاثة أشهر، وعاد إلى فرنسا ثم عاود رحلته مجددا لبيت المقدس في عام 1897، زار خلالها عددا من المدن الفلسطينية منها: "رام الله"، "بيت لحم"، "بيت المقدس"، ليستقر أخيرا في مدينة "قريت جات"، هذا وقد اتخذ لنفسه كوخا صغيرا كدير له للتعبد في فناء الكنيسة.[4]

---

[1] محمد كرادي، المرجع السابق، ص81.

[2] محمد مزيان، المغرب في الأدبيات الكولونيالية ومشروعية الغزو والإلحاق، مجلة عمران، ج5، ع7 ،2016، ص111.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص134.

[4] عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص118.

أما عن رحلته لبلاد الشام فقد كانت خلال زيارته لسوريا تحت غطاء بعض الجمعيات الدينية أين زار الناصرة[1]، وقد تمكن دو فوكو من تقلد منصب ديني سنة 1892 ضمن المجموعة الدينية المسيحية التي جاء برفقتها إلى سوريا وظل يمارسه مهامه الدينية إلى غاية سنة 1896 ليغادر بعدها إلى فرنسا.[2].

3-رحلاته للصحراء الجزائرية:

بعد عودة دو فوكو إلى الجزائر وانضمامه إلى جمعية الآباء البيض هناك، فكر هذا الأخير في استكشاف الجنوب الجزائري، وقد كان له ذلك، أين تمكن من اكتشاف عدد من المناطق الجنوبية، وفي مايلي أهم هذه المناطق التي زارها دوفوكو في إطار مشروعه التنصيري بالجنوب الجزائري.

3-1-رحلته إلى بني عباس1901-1905:

كانت الوجهة الأولى لشارل دو فكو في اكتشاف الصحراء الجزائرية هي منطقة "بني عباس"[3]، التي قرر الذهاب إليها أولا بحجة عدم وجود أي رجل دين بها يتكفل بالطقوس الدينية المسيحية في أوساط الجنود الفرنسيين هناك[4]، وعن ذلك يقول: "**لقد قمت بجميع الإجراءات، لكي أرحل إلى الجنوب**

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص134.

[2] عميراوي أحميدة، السياسة، المرجع السابق، ص119.

[3] بني عباس: من مدن الجنوب الجزائري تقع في الجنوب الغربي.

[4] عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط2، دار الهدى، الجزائر، د ت ن، ص151.

الـوهراني علـى الحـدود المغربيـة فـي إحـدى المسـتعمرات الفرنسـية التـي لا يوجـد بها أي راهب".[1]

ويضـيف متحـدثا عـن هـدف رحلتـه لبنـي عبـاس قـائلا: "...**للحيلولـة دون مـوت جنودنـا بـلا قـداس فـي أمـاكن تقتـل فيهـا الحمـى أعـداد هائلـة... ثانيـا عمـل أكثـر مـا يمكـن مـن الخيـر حاليـا للسـكان المسـلمين والمهملـين وهـذا بنشـر دعـوة المسيح**".[2]

بحلـول سـبتمبر 1901 حـل دو فوكـو بـالجزائر العاصـمة لأجـل الحصـول علـى التـراخيص الكتابيـة اللازمـة بخصـوص إنشـاء محبسـة فـي المنـاطق الجنوبيـة لـوهران، إلـى غايـة 14 أكتـوبر مـن نفـس العـام تحصـل علـى الإذن مـن الحـاكم العـام للجزائـر، وفـي اليـوم التـالي سـافر إلـى وهـران، ثـم اتجـه جنوبـا نحـو عـين الصـفراء[3] حيـث كـان جيشـه السـابق هنـاك، وكـان برفقتـه فـي هـذه الرحلـة المـلازم "**هـووت**" **(Huot)**، تمكنـا مـن الوصـول إلـى واحـة تاغيـت فـي 24 أكتـوبر، وبعـد مرور أربعة أيام (28 أكتوبر) وصل أخيرا إلى واحة بني عباس.[4]

بحلولـه ببنـي عبـاس أعجـب دوفوكـو بالمنطقـة وطبيعتهـا حتـى أنـه وصـفها بالقصـر المتكـون مـن 130 بيـت، إلـى جانـب مـا يقـارب سـتة آلاف (6000) نخلـة تـتم سـقايتها بالفقـارة[5]، كمـا وصـفها أيضـا بقولـه: "**ومـن هـذه الواحـة يشـرف**

[1] حسن مرموري، المرجع السابق، ص195.

[2] نفسه، ص195.

[3] عين الصفراء: من مدن ولاية النعامة بالغرب الجزائري.

[4] Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, Charles de Foucauld , a Missionary or a French Military Auxiliary in the Conquest of the Algerian Sahara (1901-1916), Elwahat Journal for Research and Studies, v15, 2022, p281.

[5] Gorrée George, op cit, p137.

الناظر على صحراء حمادة الشاسعة، ويمتد بصره في سماء صافية لا نهاية لها وتذكرنا بذات الإله العظيم".[1]

ما إن حل دو فوكو بالمنطقة باشر عمله التنصيري، أين قام ببناء دير للعبادة بمساعدة _المجندين الفرنسيين يتكون من حجرات صغيرة خصصها لاستقبال ضيوفه والمرضى، كما خصص له حديقة زرع فيها مختلف أصناف الفواكه والخضر، إلى جانب بعض من أشجار النخيل[2]، يصفه Bazin René يقول: "**دفع الأخ تشارلز 170 فرنكا مقابل ثمانية أو تسعة فدادين من الصحراء، كان هناك ماء لحسن الحظ، كان مسرورا بهذا السكن الجديد.... تم استخدام الحجارة المستخرجة من الأرض للبناء، كانت أشجار النخيل بمثابة عوارض، والأوراق والقصب بمثابة غطاء للكنيسة، إنه مسكن ريفي فقير للغاية، وضع كتاب الإنجيل في زاوية بجانب قنديل لإضاءة المكان، وتم تعليق قماش أخضر في شكل قبة بالسقف لحماية الهيكل والمذبح من المطر**".[3]

تمكن دو فوكو خلال تواجده ببني عباس من إقامة صداقات مع الجنود الفرنسيين الذين كانوا يقصدون الدير للتبرك والتعبد وحتى للاستشفاء، كما كانت تجمعه علاقة ودية مع القائد العسكري للمنطقة وهو "**دي سيسبيال**" **(Du Susbielle)**، هذا وكان على اطلاع بالأوضاع الاجتماعية لسكان المنطقة

[1] إسماعيل عربي، المرجع السابق، ص113.

[2] عميراوي أحميدة، السياسة...، المرجع السابق، ص120.

[3] René Bazin, op cit, p304-305.

ومختلف المشاكل التي كانوا يعانون منها وتقديمه للحلول لهم، سعيا منه إلى توطيد العلاقة بين الطرفين الأوروبي والجزائري من أهالي الجنوب.[1]

نتيجة للعقبات التي واجهت دو فوكو في إطار نشاطه التنصيري خاصة قلة رجال الدين الذين من شأنهم مساعدته أصيب بالإحباط، الأمر الذي دفعه للتفكير بجدية في متابعة أسفاره إلى مناطق أخرى غير معروفة من الصحراء مدفوعا برغبته في الاستكشاف والمغامرات[2]، وأصبح قراره بمغادرة بني عباس حاسما خاصة عندما زاره صديقه "لابرين"(Laperrine) الذي أقنعه بالانتقال إلى الهقار الذي لم يكن قد وقع بعد كلية تحت سيطرة الاستعمار.[3]

3-2- رحلته إلى تمنراست(1905-1916):

شكلت تمنراست معقل التوراق (الطوارق) وعاصمة الأهقار التي تعاقب عليها العديد من المغامرين والمستكشفين الأوروبيين من أجل التعرف على خباياها وعلى طبيعتها، إلا أن سكانها كانوا دائما بالمرصاد لكل من يدخلها كما هو الحال بالنسبة للرهبان الثلاثة الذين تم قتلهم من قبل الطوارق سنة 1879، وغير بعيد عنهم تم قتل كل من الراهبان ريتشارد وموورا عام 1881م بالقرب من غدامس.

[1] عميراوي أحميدة، السياسة..، المرجع السابق، ص121.

[2] Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, op cit, p282.

[3] إسماعيل عربي، المرجع السابق، ص113.

والجدير بالذكر أن نشاط شارل دو فوكو في منطقة الأهقار كان بعد وقوع هذه الأخيرة تحت سيطرة القوات العسكرية الفرنسية الأمر الذي أتاح له فرصة التعرف على هذه المنطقة وعلى سكانها.

بالحديث عن قدوم دو فوكو إلى هذه المنطقة فإن ذلك يعود إلى 13 جانفي1903، عندما غادر بني عباس وبطلب من زميله "لابرين" انظم دوفوكو معه سنة 1903 في جولة إلى إقليم الطوارق[1]، كانت نية "لابرين" من هذه الرحلة هي قيام دو فوكو بالتواصل مع قبائل الطوارق المعادية وتمهيد الطريق للجيش الفرنسي لاختراق المنطقة، وفي 24 يونيو 1903 كتب إلى (Guerin) و(Huvelin) يطلب منهما الإذن باكتشاف مناطق "توات" و"تيدكلت"، بعد الحصول على الموافقة بدأ دو فوكو رحلته إلى "توات" عن طريق انضمامه لقافلة عسكرية متكونة من خمسين جنديا بقيادة الملازم Y vart الذي توجه إلى "أدرار".[2]

بحلول 8 فيفري 1904 غادرت الدورية أدرار متجهة جنوبا، أين مرت بعين صالح في 16 فيفري 1904، وبعد يومين من رحيل الأمينوكال موسى[3] أحد كبار الشخصيات بالمنطقة، واصل دو فوكو طريقه نحو الجنوب ليستقر لمدة

[1] Dominique Casajus, Charles De Foucaulde Et Les Touaregs, Communication au clloque Anthropologie des traditions intellectuelles, paris, 1996, p2

[2] Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, op cit, p2

[3] **موسى آغ أمستان:** هو زعيم الطوارق بالهقار، كان في صراع حول السلطة مع أتسي أق ملال، وبتدخل من الفرنسيين تمكن الأمينوكال موسى من تولي الزعامة، أنظر: محمد مبارك كديدة، النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج2، ع2، د ت ن، ص9.

ثلاثة أسابيع في واحات "أقابل" أين أخذ دروس التمحاق[1] عن محمد بن عبد القادر الذي كان بدوره قد طاف بمنطقة الطوارق وتعرف عليها.[2]

رغم أن الدورية التي كان بها دو فوكو كانت متوجهة نحو مناطق من الجنوب منها منطقة "تيت، "ان أزيز"، "أهنت"، "تيمياوين"، إلا أنها لم تتمكن من التوغل نحو هذه المناطق بعد أمر المنع الذي جاء من الحامية العسكرية في "**تنبكتو**"، على إثر ذلك واصل دو فوكو مهمته في الأهقار لكن دون أن يستقر هناك ويرجع ذلك حسب ما ورد في سجلاته أن "**لابرين كان وراء منعه من الإستقرار بالأهقار حيث يقول: "إن خيبة لابرين من بعض الفرنسيين أكثر من خشيته للتوارق، جعلته لا يسمح لي حاليا بالبقاء في تيت ولا غيرها بأهقار.. سنعرف لاحقا**".[3]

بالمقابل وإن كان قد فشل دو فوكو في رحلته الأولى نحو الأهقار من الإستقرار هناك، إلا أن هذا الأخير عاود الكرة مجددا أملا منه في أن يستقر في أوساط الطوارق ويعمل على مباشرة نشاطه التنصيري الذي جاء من أجله هناك، وهو ما تم له فعلا فبعد أن عاد إلى بني عباس وصلته رسالة من قبل لابرين يدعوه فيها إلى العودة إلى الأهقار رفقة النقيب "دينو" (Dinaux)، كما

[1] **التمحاق**: لغة الطوارق، وتسمى أيضا التمشاق Kel temasheq، وهي لهجة بربرية ويعني الحرف kel أهل أو أولاد، وهنا في تركيبة كل تماشق تفيد الأشخاص الذين يتكلمون اللهجة التاماشقية، أنظر: عبد القادر خليفي، مجتمع طوارق الجزائر: الخصوصيات الأنثروبولوجية والسوسيوثقافية، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، ع13،ديسمبر 2017، ص252.

[2] Dominique Casajus, op cit, p2.

[3] حسن مرموري، المرجع السابق، ص201-202.

أرسل مكتوبين إلى كل من (Guerin) والقس (Huvelin) يستشيرهما فيه حول الموضوع، فجاءه الرد منهما بالموافقة وترك كل الحرية له في اتخاذ القرار.[1]

بعد انضمام دو فوكو إلى النقيب دينو وجد برفقته كل من الجغرافي والمستكشف (M.E.Gautier) والجيولوجي (Chudeau) والكاتب (M.Plerre Mille) وتحسبا للقاء الأمينوكال "**موسى آغ أمستانا**"، تم إرسال رسول لإبلاغه بمكان الاجتماع وخط سير القافلة، وبعد مرور ثلاثة أيام، وصل موسى إلى المخيم، أين وافق على تسوية وضعية دو فوكو في الأهقار وتقديم المساعدة الممكنة لتسهيل إقامته هناك.[2]

بعد كل هذا قرر دو فوكو الانتقال إلى أعالي الأهقار وعلى بعد 60 كلم من تمنراست بنى ديرا على إحدى القمم وهي قمة "لسكريم" (L'asckrem) التي بلغ ارتفاعها 2700م[3]، حيث أقام هناك في حالة من العزلة والتأمل، وكان قد ركز في نشاطه التنصيري بالمنطقة على فئة الأطفال من خلال التقرب منهم بمنحهم قطعا من السكر، فقد كان يرى في هؤلاء الأطفال وسيلة للولوج إلى نفوس الكبار وتقريب المترددين منهم والدخول في اتصال معهم.[4]

واصل دو فوكو نشاطه التنصيري بالجنوب الجزائري مستخدما مختلف الطرق والأساليب التي كان لها دور كبير في خدمة مشروع فرنسا الاستيطاني بالمنطقة وهو ما سنحاول توضيحه في المبحث الموالي في حديثنا عن أعمال وإسهامات شارل دو فوكو.

---

[1] نفسه، ص203-204.

[2] Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, op cit , p288.

[3] عميراوي أحميدة، السياسة، المرجع السابق، ص125.

[4] إسماعيل عربي، المرجع السابق، ص114-115.

المبحث الثالث: أعماله وإسهاماته:

لا جرم إذا قلنا أن شارل دو فوكو كانت له أعمال وإسهامات عديدة ساهمت وبشكل كبير في اكتشاف الجنوب الجزائري_هذا من جهة، من جهة أخرى كان له دور وإسهامات عديدة في إطار تحقيق المشروع الفرنسي الاستيطاني بالجنوب الجزائري، وهذا من خلال ما قدمه من إسهامات سواء كانت عسكرية أو دينية(خاصة الدينية منها).

1-أعماله الفكرية:

منذ أن وطأت قدم دو فوكو الجزائر عامة، ومنطقة الجنوب خاصة أخذ هذا الأخير في سبر كل مجهول واكتشاف كل غريب في المنطقة سواء كان ذلك من الناحية الجغرافية أو الديموغرافية، هذا الاجتهاد وحب الاكتشاف والمغامرة اللذان ارتبطا بدو فوكو دفعاه إلى تدوين كل ما توصل إليه خلال رحلاته واكتشافاته لمنطقة الجنوب في شكل مؤلفات عديدة منها:

- كتاب نحو لغة التيفيناغ، وهو كتاب ألفه بعد عناء كبير وبحث متواصل في لغة الطوارق وكتابتهم التي تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية، إلى جانب "قاموس فرنسي طوارقي"، عثر عليه في منزله بتمنراست بعد اغتياله، يتكون من مجلدين، يبلغ مجموع صفحاته 1450 صفحة، ها إلى جانب عدد من النصوص الطارقية المترجمة للفرنسية وهي عبارة عن مجلدين من الشعر والنثر الطوارقي[1]، وكان قد كتب إلى صديقه "لابرين" في الثاني من

[1] نفسه، ص115.

أغسطس 1915 حول قاموسه الذي أنجزه يقول: "**هنا قاموس الطوارق الفرنسي الأكثر تطورا والذي تم الانتهاء منه وجاهز للطباعة...**".[1]

– مجموعة من الرسائل التي كانت بينه وبين أهله وأصدقائه في فرنسا، هذه الرسائل الخاصة التي تعد مصدرا تاريخيا يؤرخ للسياسة الفرنسية الاستعمارية بالجنوب الجزائري.[2]

– ترجمته للإنجيل إلى الطارقية وقد اشار إلى ذلك في رسالة له إلى قريبته بتاريخ 6 سبتمبر 1904 يقول فيها: " **لقد أنهيت ترجمة الإنجيل إلى اللغة الطارقية: الطوارق لهم لغة وكتابة خاصة بهم، لكن ليس لديهم كتب، لا يوجد أي كتاب في هذه اللغة، إنه لشرف عظيم لي أن يكون كتابهم الأول هو الإنجيل المقدس**".[3]

– كتاب "التعرف على المغرب"(Reconnaissance du Maroc).

2– إسهاماته في العمل التنصيري بالجنوب:

مثلما كان لشارل دوفوكو أعمال وإسهامات فكرية والتي نلمسها في المؤلفات والأعمال الفكرية التي تركها والتي تحمل كما من المعلومات ولأفكار التي توصل إليها من خلال أبحاثه التي أجراها طيلة تواجده بمنطقة الجنوب الجزائري، كذلك كان لهذا الأخير بطبيعة الحال لكونه راهبا بالدرجة الأولى إسهامات عدة في العمل والنشاط التنصيري بالصحراء الجزائرية، وتتمثل

[1] Ouahmi Ould_Braham, Note à propos des lettres de Charles de Foucauld à René Basset1907–1916, Etudes et Documents Berbères , v19–20, p167.

[2] عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية..، المرجع السابق، ص172.

[3] حسن مرموري، المرجع السابق، ص214.

إسهاماته في عدد من الأعمال والنشاطات التي قام بها في إطار الحركة التنصيرية بالجنوب والتي هي:

خلال تواجده في منطقة بني عباس بالجنوب أول عمل قام به من أجل بث جذور التنصير في أوساط السكان، أن قام بشراء عدد من العبيد وتحويلهم للنصرانية، وقد ذكر في مراسلاته أن اشترى ثمانية عبيد، الأول سنة 1902 وعمره 20 عاما سماه "جوزيف دو ساكري كايور" والذي أرسله للجزائر العاصمة لتعليم الدين، أما العبد الثاني الذي اشتراه فقد كان صبيا يبلغ من العمر 15 سنة واسمه "بول الثالث"، وكان العبد الثالث هو الاخر صبيا يبلغ من العمر 4 سنوات وظل يشتري العبيد حتى العبد الثامن، فكان العبد السابع الذي اشتراه عجوزا عمياء اسمها "ماري"، أما الثامن والأخير فكان فتى من "توات" يبلغ من العمر ثلاث سنوات أطلق عليه اسم "بيار"[1]، هذا العمل الذي قام به دوفوكو كان يهدف من خلاله إلى تحويل هؤلاء العبيد إلى خدم للعقيدة النصرانية بعد تعميدهم وتحويلهم للمسيحية.

وفي ذات السياق وفي إطار تعميد السكان، قام دو فوكو أيضا باختطاف طفل من بني عباس وتحويله للديانة المسيحية، وسماه "بول ماريو"، غير أن هذا الأخير وما إن أصبح راشدا حتى أدرك مخطط دوفوكو التنصيري وما يحاك ضد السكان فتمرد عليه وغير اسمه من بول إلى "مبارك" وانضم إلى إخوانه الطوارق في تمنراست، بعد أن أدرك مساعي دوفوكو الرامية إلى مساعدة

[1] Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, op cit, p282.

الفرنسيين للتوغل في الجنوب على حساب الأهالي وذلك من خلال استمالتهم بل وحتى تعميد وتمسيح البعض منهم.[1]

ومن الأعمال التي قام بها أيضا والتي كان يهدف من خلالها إلى ضمان سيرورة الحركة التنصيرية في المنطقة هي تواصله المباشر مع سكان بني عباس وذلك من خلال بناء مأوى لهم وتقديم وجبات الطعام لمسافري الصحراء، هذا وكان ينوي بناء فصل دراسي لتعليم الأطفال القراءة والكتابة باللغة الفرنسية وتعليمهم تاريخ المسيح، وكان تركيزه على الأمازيغ من السكان أكثر من العرب لأنهم كانوا أكثر إقبالا على الأفكار الجديدة، إلا أنه واجه عدة صعوبات في إطار عمله التنصيري بالمنطقة _منها معرفة سكان بني عباس للعقيدة المسيحية الأمر الذي حال دون تنصر بعضهم.[2]

تبقى الإشارة المهمة ذات الصلة بإسهامات دوفوكو التنصيرية في بني عباس أن الحركة التنصيرية في المنطقة كانت مثبطة والسبب في ذلك يعزى إلى مدى تمسك سكانها بالعقيدة الإسلامية وهذا بفضل التعاليم القرآنية التي يتلقونها هذا من جهة، من جهة أخرى وحسب ما أشار إليه دوفوكو فإن ذلك يعزى إلى غياب ونقص رجال الدين –الرهبان– في المنطقة الأمر وافتقاره لمساعدين لدعم نشاطه، الأمر الذي حال دون مواصلة دوفوكو لنشاطه التمسيحي وتقديم أعمال من شأنها أن تخدم الحركة التنصيرية في المنطقة.

بالعودة إلى نشاط دوفوكو في منطقة الأهقار وبالتحديد في تمنراست، فقد تمكن هذا الأخير من التغلغل في أوساط السكان ومرد ذلك هو وضعية

[1] إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، د ط، دار مداني، الجزائر، 2008، ص180.

[2] Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, op cit, p282.

بعض السكان الاجتماعية والعقائدية المنغلقة، وعدم تفتحهم على الأفكار النصرانية التي جاء بها ما أتاح له التعرف عليهم وعلى عاداتهم وطبائعهم بدافع تنصيرهم بل وأكثر من ذلك تحقيق هدف فرنسا وهو التوغل في هذه المنطقة وبث جذورها الاستيطانية بها.

لذلك نجد أن دوفوكو قد اختار تمنراست لبعدها وعزلتها عن مدن الشمال، وكان يرى أن الطوارق أقل تعلقا بالإسلام فهم لا يعرفون اللغة العربية معرفة جيدة، كما أنهم لا يتأثرون بدعوة المرابطين والأولياء ومشايخ الطرق الصوفية لأجل ذلك قرر أن يتعلم لغتهم، بل حتى أنه ألف معجما وكتابا في النحو متعلقا باللغة الطارقية، هذا إلى جانب ترجمته لعدد من القصائد الشعبية الطارقية التي كانت محفوظة والتي ساعدته في التعرف على نمط وأسلوب عيش السكان وعاداتهم وطقوسهم وغيرها.[1]

يضاف إلى هذا أن دوفوكو خلال تواجده في المنطقة كان يعمل جاهدا على تغيير وتحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان في تمنراست، ولأجل ذلك قام بالإتصال برئيس الطوارق "الأمينوكال" موسى آغ أمستان الذي شرح له ضرورة تحسين التربية الخلقية للسكان إلى جانب نشر التعليم وجعل السكان بعدما كانوا بدوا رحلا مدنيين مستقرين يعيشون في المدن يزاولون شتى النشاطات[2]، كل هذا من شأنه أن يسهل عملية التنصير التي لطالما ارتبطت بالمشروع الإستيطاني الفرنسي بالمنطقة.

[1] أبو عمران الشيخ، شارل دي فوكو في تامنراست1905-1916، مجلة الثقافة، ع76، أغسطس1983، ص80.
[2] نفسه، ص81.

لقد اعتمدت السلطة الاستعمارية على نظام يمكنها من فرض سيطرتها على المنطقة من خلال إيجاد جملة من المشاريع الاقتصادية التي من شأنها أن تخدم الصالح العام الفرنسي بالدرجة الأولى، وقد كان لـ دوفوكو مساهمة في تحقيق هذه المشاريع التي من شأنها أيضا أن تخدم المشروع التنصيري بالمنطقة، تمثل هذا المشروع في خط السكة الحديدية العابرة للصحراء وقد كان دوفوكو عضوا في اللجنة التقنية التي قدمت إلى الهقار لدراسة هذا المشروع في فيفري1912، وقد عبر عن مدى اهتمامه بذلك في رسالة وجهها لأحد أصدقائه يقول فيها: "**إنني مسرور للغاية لأن خط السكة الحديدية في هذه المناطق وسيلة قوية لنشر الحضارة، والحضارة تساعد بقوة على التنصير، ولا يمكن تنصير الهمج (المتوحشين)**".[1]

هذا وكانت له مساهمة أيضا في إنجاز مشروع بناء مركز بريدي تلغرافي في تمنراست الذي من شأنه أن يخدم مصلحة فرنسا من جهة وكذلك التنصير من جهة أخرى تحت غطاء الظهور بملامح الحرص على مصلحة الأهالي، إلى جانب هذا كان قد ساهم في مساعدة السكان جراء المجاعة التي حلت بهم سنة 1907 من خلال تقديمه لما عنده من قمح وشعير وتمر للنساء والأطفال الأمر الذي أكسبه محبة السكان واحترامهم له.[2]

ومن الأعمال أيضا التي قام بها، أنه قام باصطحاب شاب طارقي يدعى "**أوكسم**"**(Ouksem)** (صاحب الشعر المضفور الذي لا يلبس إلا إزارا

[1] كمال بن صحراوي، حركة التنصير في الجنوب...، المرجع السابق، ص268.

[2] عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص124.

يغطي القسم الأسفل من جسمه[1] معه إلى فرنسا وكان هدفه من ذلك هو إقحامه في الحياة العائلية المسيحية[2]، وقد تمت هذه الرحلة سنة 1913 وكان "أوكسم" في الـ21 من عمره، إلا أن هذا الأخير لم يتحول في سلوكه وبقي متمسكا بأسرته ومجتمعه، حتى أنه التحق بثورة الطوارق سنة1917 ضد الفرنسيين[3]، الأمر الذي يفسر مدى تعلق سكان الأهقار بعقيدتهم وحضارتهم عكس ما كان يدعيه دوفوكو أنهم شعب بعيد عن الإسلام.

كان هذا ما تعلق بأعماله وإسهاماته في العمل التنصيري في الجنوب الجزائري، رغم ما قدمه من أعمال واجتذابه للطوارق وجعلهم يقبلون عليه، بل وقد اعتبره البعض منهم بمثابة المرابط في نظرهم، إلا أنه لم يفلح في تنصيرهم حيث يقول: "**غدا تمر عشر سنوات منذ بدأت أقوم بالقداس بتمنراست ولم أتوصل إلى تنصير شخص واحد**".[4]

3- إسهاماته في العمل العسكري:

ولأن سيرورة الحركة التنصيرية بالجنوب الجزائري منوطة ومرتبطة بالتوغل العسكري الفرنسي، فقد ساهم دوفوكو في هذا المجال بقدر ما كانت له مساهمات في ميدان التنصير والتبشير بالجنوب.

حيث كان قد شارك هذا الأخير في البعثة التي قدمت إلى تمنراست بأمر من (Roume) الحاكم العام لإفريقيا الغربية بهدف دراسة تركيب سلاح

[1] أنظر الملحق رقم...(صورة للشاب).

[2] كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص268.

[3] أبو عمران الشيخ، المرجع السابق، ص84-85.

[4] إبراهيم زلافي، رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر: التنصير أنموذجا، مجلة إشكالات،ع8، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي تمنراست، الجزائر، ديسمبر2015، ص316.

المهارى وتنظيمه[1]، ولأن دوفوكو قبل أن يكون راهبا ورجل دين فقد كان رجلا عسكريا بامتياز فهو خريج مدرسة "سان سير" الحربية الأمر الذي خول له الاضطلاع بعدد من المهام العسكرية على غرار عمله التنصيري، فمع بداية الحرب العالمية الأولى اهتم بالمسؤوليات السياسية والعسكرية، أين أوكلت له مهمة تسليم 1500 ذخيرة لطلقات بندقية لموسى آغ أمستان.[2]

من جهة أخرى كان له دور في خدمة الاستراتيجية الحربية لبلاده خلال الحرب العالمية الأولى أين كان يقوم بإرسال الرسائل لقائد الأقاليم الصحراوية "لابرين" والتي بلغت نحو أربعين رسالة يطلعه فيها على مختلف أوضاع منطقة الهقار وتطورات الحرب بالجبهات المحيطة بها، كل هذا يفسر أن تخلي دوفوكو عن بزته العسكرية وارتدائه عباءة التدين لم ينسه خبرته العسكرية التي تلقاها في مدرسة سان سير الحربية.[3]

ما يمكن قوله من خلال ما سبق أن النشاط التنصيري الذي اضطلع به الراهب شارل دوفوكو كان مشروعا متكاملا، الهدف والغاية منه كما سبق وأشرنا هو سيطرة الاحتلال الفرنسي على منطقة الجنوب بدعوى نشر الحضارة الغربية ورسالة النصرانية، لذلك اقترن هذا المشروع بالعمل الاستعماري الإستيطاني، ونلمس ذلك في رحلات دوفوكو عبر الصحراء أين كان كلما مر بإحدى مناطق الصحراء إلا واستقر بها مدة من الزمن لأجل نشر عقيدته والعمل على تحويل السكان من عقيدتهم إلى العقيدة الجديدة(النصرانية).

---

[1] كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص266.

[2] حسن مرموري، المرجع السابق، ص222.

[3] محمد هقاري، دور سكان منطقة آزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية،ع24، جوان2016، ص34.

زيادة على ذلك أن شارل دوفوكو قد ساهم بعمله هذا في نشر المسيحية واستقطاب عدد من السكان والأتباع رغم فشله في تنصير المنطقة وهذا لعدة أسباب وعوامل منها تمسك السكان بعقيدتهم وعاداتهم، كذلك ساهم وبشكل كبير في العمل العسكري الذي شهدته المنطقة وذلك بمساعدة القادة العسكريين الفرنسيين بالمنطقة من خلال تقديم مختلف المعلومات حول مناطق الصحراء وحركة المجاهدين بها، وعليه يمكن القول أن عمل شارل دوفوكو كان مزيجا بين العمل الديني والعمل العسكري وهو تماما ما كانت تسعى إليه الإدارة الاستعمارية باستعمال التنصير كأداة لتسهيل عملية التوغل العسكري والاستيطان فيما بعد.

الفصل الثالث

الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري بين الأهداف والنتائج

المبحث الأول: شارل دوفوكو ودعمه للاستيطان في الجنوب

المبحث الثاني: مقاومة السكان للمشروع التنصيري

المبحث الثالث: مصير مشروع دوفوكو التنصيري ونهايته

مثلت الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري مشروعا استعماريا استيطانيا بالدرجة الأولى، فاستقدام فرنسا للرهبان نحو الجنوب لم يكن لأجل نشر تعاليم المسيحية فحسب وإنما لتمهيد الطريق نحو الغزو العسكري والاستيطاني.

هذا ولم تكن الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري بمنأى عن الأحداث التي عرفتها المنطقة بعد فشل المشروع التنصيري لشارل دوفوكو، والتي تمثلت في مقاومة السكان للاستعمار ومشروعه الاستيطاني بالمنطقة وهو ما سنحاول معالجته في هذا الفصل.

المبحث الأول: شارل دوفوكو ودعمه للاستيطان في الجنوب:

لم يكن شارل دوفوكو داعية مسيحيا مهمته نشر النصرانية في الصحراء الجزائرية فحسب، وإنما كان له دور كبير في دعم الاستيطان الفرنسي بالجنوب الجزائري، فخلال تواجده بالصحراء الجزائرية مهد الطريق للقوات الفرنسية لفرض سيطرتها على عدد من المناطق التي كان قد حل بها وذلك بناء على ما توصل إليه من معلومات حول هذه المناطق.

وقد تمثل دوره في دعم عملية الاستيطان الفرنسي من خلال استمالته للسكان خاصة النساء والأطفال، حيث اقترح تعليم النساء النسيج ومنحهن فرصة للعمل، هذا العمل الذي كان يقوم به دوفوكو القائم على التقرب والاستمالة من شأنه أن يقربه من كل شرائح المجتمع الصحراوي، وهو ما سيمكنه من معرفة عقلياتهم وعاداتهم، وبالتالي سيسهل ذلك من الاستيطان فيما بعد.

فقد تمكن دوفوكو من نقل أدق تفاصيل مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي، وهو الأمر الذي أضاف جوانب تكميلية للمشروع الاستيطاني الفرنسي فيما بعد وإحكام السيطرة على المنطقة.

فالمعلومات التي خرج بها دوفوكو حول مجتمع الصحراء سواء تعلق الأمر بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وغيرها، والتي توصل إليها تحت غطاء العمل الصليبي، كل هذا كان الغرض منه التعرف على السكان المحليين والهيمنة عليهم، هذا وتعتبر أعماله وما توصل إليه مكسبا حقيقيا وسلاحا في يد السلطات الفرنسية بهدف تطوير مشروعها الاستيطاني في الجنوب الجزائري.

ولأن الحركة التنصيرية التي تزعمها دوفوكو في الجنوب لم تكن بعيدة عن المشروع الاستيطاني الفرنسي، فقد كان داعما لكل أشكال الاستيطان في المنطقة، ولأنه

كان جاسوسا لفرنسا فعمله سيكون مزجا بين التنصير والإعداد للاستيطان، حيث نجد هذا الأخير قد شجع وبارك مختلف المشاريع التي بدأت بها فرنسا في منطقة الجنوب منها مشروع السكة الحديدة، وخط التلغراف... .

أولا: أساليب التوغل الفرنسي نحو الجنوب الغربي الجزائري:

1- الأسلوب الترهيبي: استخدمت فرنسا أساليب متعددة للاحتلال خلال الاستعمار الفرنسي، بدءًا من عام 1889، ظهرت في ذلك الوقت فكرة جديدة ومبتكرة، وهي احتلال الصحراء بطرق سلمية وهادئة، من خلال إقامة مؤسسات اقتصادية وإنشاء مراكز تجارية في المناطق المختلفة، تم بذلك جعل هذه المناطق تتبع الاستعمار اقتصاديًا، بدأت فرنسا أيضًا في زيادة الدراسات والأبحاث حول هذه المناطق، بهدف فهمها بشكل أفضل من حيث السكان والجغرافيا والموارد المائية والاقتصادية، وقد أرسلت في هذا السياق شخص يدعى "فلامون" (Flamand) لإجراء دراساته وأبحاثه في الجنوب،[1] بالتالي ظهرت مشاريع فرنسية متنوعة ومتفاوتة في الزمان والمكان والطبيعة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو علمية، ولكنها تشترك في الهدف العام،[2] وقد حرصت فرنسا على منافسة بريطانيا في مجال التجارة عبر الصحراء الكبرى، واعتبرت الصحراء الجزائرية حجر الزاوية للسيطرة على الممرات التجارية الأفقية والعمودية في المنطقة.[3]

---

[1] مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996، ص106.

[2] عميراوي احميدة وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص63.

[3] قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 1994، ص85.

تم توفير البحوث والتقارير المفصلة للأوضاع العامة في الصحراء الجزائرية عن طريق البعثات الاستطلاعية، سواء العلمية أو العسكرية، لدعم المشروع الاستعماري، تم تزويد العسكريين بالخرائط الجغرافية والطبوغرافية المتعلقة بالمنطقة، في نهاية القرن التاسع عشر (19م)، كانت فرنسا قد أكملت التحضيرات السياسية والعسكرية اللازمة، سواء داخليًا أو خارجيًا، للقيام بعملية عسكرية حاسمة تضع حدًا لتردد السياسة الفرنسية في الجنوب وتحقق نصرًا بعد نصف قرن من الجهود المضنية التي بذلها الجيولوجيون والعسكريون والمستكشفون،[1] حيث عاد هؤلاء المستكشفون بمعلومات قيمة عن الصحراء، بما في ذلك الخرائط والمدن والطرق والأسواق التجارية، استفاد الضباط الفرنسيون فيما بعد من هذه المعلومات أثناء توغلهم نحو الجنوب الجزائري وتوسعهم في الصحراء الإفريقية، حيث تمكنوا من كشف أسرار تلك المناطق،[2] قدم دوماس (Daumas)دراسة بعنوان "الصحراء الجزائرية"، تسلط الضوء على تقدم الفرنسيين في فهم الصحراء والجهود التي بذلوها للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول المناطق الصحراوية قبل التوسع فيها.[3]

خلال السنوات التي تلت عام 1900، تم تنظيم المناطق الجديدة التي تمت احتلالها لتمكين السلطات الفرنسية من ربط المناطق الصحراوية في الجنوب بمنطقة وهران في الجنوب، تم إقامة ثكنات عسكرية وأبراج مراقبة عالية للسيطرة على المناطق المحتلة واستخدام هذه المراكز كنقاط قوة ثابتة ونقاط انطلاق للتوسع الاستعماري والتقدم

[1] رموم محفوظ، الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية، مجلة الحوار الفكري، العدد11، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص61.

[2] بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص62.

[3] Daumas Eugene, le Sahara Algérien études géographique statistique et historique sur la région au sud des établissement Française en Algérie ,Dubos frères fortin, Masson et G-Alger, Paris, 1845, p6.

نحو الجنوب،[1] مع بداية القرن العشرين، بدأت مرحلة جديدة من التوسع والتوغل، تحولت الرحلات المعزولة والمهمات العلمية إلى استكشافات تتم بأوامر من الدولة ذات الطابع السياسي والعسكري بخاصة، أصبح على الضباط إثبات جدارتهم كمغتصبين أولاً، ثم كدبلوماسيين وعلماء ثانيًا،[2] في هذا السياق، ركزت فرنسا جهودها على الصحراء أكثر من المناطق الشمالية، وقامت بالعديد من الدراسات الجغرافية والمناخية والاجتماعية للمناطق التي وصل إليها المستكشفون، لفهم طبوغرافية الصحراء وتسهيل التوسع جنوبًا،[3] وتمكنت فرنسا من السيطرة على مناطق جنوب غرب الجزائر في الفترة بين 1899 و 1903، وعينت "لابرين" (Laperrine) لقيادة القوات العسكرية التي تم إنشاؤها في جنوب الجزائر عام 1902.[4]

في بداية القرن العشرين، حققت فرنسا تقدمًا في استعمار الجزائر عن طريق احتلال مناطق مهمة، تمثلت هذه المكاسب في الاستيلاء على عين صالح، التي كانت السلطات الفرنسية تسعى منذ فترة لضمها بسبب أهميتها في عمليات التوسع نحو الجنوب، تم أيضًا احتلال توات والهقار،[5] بعد عدة محاولات، حيث تمكنت القوات الفرنسية من الدخول إلى إقليم توات والسيطرة عليه، وتم احتلال أدرار في 10 فبراير 1901.[6]

[1] مياسي ابراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، غرناطة للنشر، الجزائر، 2013، ص167.

[2] رموم، المرجع السابق، ص78.

[3] بوعزيز، المرجع السابق، ص19.

[4] لمحرزي عبد الرحمن، أدرار من مقاومة الاستعمار إلى التحرير، مجلة القصر، العدد8، منشورات دار الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، د س، ص18.

[5] مياسي، المرجع السابق، 1996، ص111.

[6] المرجع نفسه، ص115.

تحت قيادة القائد الفرنسي، في عام 1901، تم أيضًا السيطرة على وادي الساورة وإقامة حواجز عسكرية فيها، بما في ذلك إنشاء حواجز في تاوريت وتاغيت بقيادة العقيد "بييه"، وتم احتلال بني عباس في 1 مارس 1901، حيث تم نقل مركز مكتب الشؤون الأهلية من إيغلي إلى بني عباس، قاد رسبورغ، قائد الناحية العسكرية بوهران،[1] هذه الاحتلالات، وتمكنت القوات الفرنسية من تجاوز جبل بشار في نوفمبر 1903، الذي كان يعد معقلاً صعب المراس للفرنسيين، واحتلت كولومب بشار وأقيم فيها مركز يصبح عاصمة المنطقة[2].

2- الأسلوب الترغيبي: خلال فترة احتلال الجزائر وحتى نهاية القرن التاسع عشر، استخدمت السلطات الفرنسية مجموعة متنوعة من الطرق والوسائل لاختراق الصحراء، بالإضافة إلى الأساليب القمعية والعسكرية التي تعتمد على القتل والتدمير والتخريب، قامت فرنسا بإرسال بعثات استكشافية وعلمية وأوفدت مغامرين إلى الصحراء بهدف جمع معلومات هامة لصالح القوات الفرنسية في جهودها للتوسع في الجنوب، استخدمت هذه البعثات وسائل تمويه متنوعة وتنكروا تحت أقنعة مختلفة، فتارة باسم التجارة وتارة باسم السياحة، إحدى الرحلات البارزة التي شهدتها منطقة الجنوب الغربي الجزائري كانت رحلة "الأب شارل دي فوكو(Charles De Foucauld) "، الذي اكتسب لقب "أسقف الصحراء"، بعد رحلته إلى المغرب الأقصى في الفترة بين يونيو 1883 ومايو 1884،[3] حيث استكشف الجنوب المغربي، عاد إلى فرنسا في أبريل 1885، حيث منحت له الميدالية الذهبية الكبرى، وبدأ يلقب بـ "كبير المغاربة"، وفي هذه المرحلة، كان

[1] Ernest marcel, Chroniques de l'Ouest saharien(1900-1930) ،Paris ،Comité de l'Afrique française , 1930, p27-28.
[2] Ernest marcel, Ibid, p42.
[3] Bazin René, Charales de Foucauld explorateur du Maroc_ermite au Sahara, Paris, 1921, p33.

يعمل على تحرير كتابه "استطلاع المغرب وبيان خط سير الرحلة (Reconnaissance et itinéraire au Maroc)، الذي يحتوي على تفاصيل رحلته ونُشر في عام 1888، وحقق شهرة كبيرة،[1] تمثلت مغامرته في فتح أبوابٍ علميةٍ للأبعاد الجغرافية والسياسية والعسكرية، حيث كانت المعلومات التي جمعها دقيقةً ومدهشةً، وأصبح كتابه دليلاً للاستعمار الفرنسي في توسعه في المغرب بعد ذلك.[2]

بعد ذلك، عاد دي فوكو إلى الجزائر بعزيمة قوية وجعلها نقطة انطلاق لمشروعه الجديد، زار العديد من المدن في جنوب الجزائر من الغرب إلى الشرق،[3] ثم انتقل إلى الأماكن المقدسة في فلسطين وسوريا ابتداءً من عام 1888 وبداية فيفري عام 1889، بأمر من مرشده الروحي، ثم عاد إلى باريس، حيث جمع بين العبادة والانفتاح الروحي،[4] نصحه الأب هوفلين (Huvelin) بترجمة معرفته ودراساته ورحلاته إلى أعمال تخدم المسيحية وتفيد الآخرين، وحاول دي فوكو تحقيق هذا في الجزائر، خاصة في منطقة بني عباس في الجنوب الغربي ومنطقة الطوارق في تمنراست.

ثانيا: استقرار دي فوكو في بني عباس 1901-1903 Beni Abbes:

انطلق الأب دي فوكو في شهر سبتمبر نحو إفريقيا، ووثّق هذا القرار في رسالة إلى قريبته بوندي، حيث قال: "لقد أنهيت كل الإجراءات وبدأت السفر نحو جنوب مقاطعة وهران على حدود المغرب في إحدى المستعمرات الفرنسية التي لا يوجد فيها راهبٌ"، ثم تطرق إلى الهدف المزدوج وراء اختياره لهذا المسار، وهما:

[1] Bazin, Ibid, p81.
[2] Ibid, p79.
[3] Bazin, Ibid, p81.
[4] Jean-François Six, Vie de Charels de Foucauld, Paris, édition du seuil ,27 Rue Jacob, 1962, p35.

أولاً: تفادي وفاة جنوده في مناطق تعج بالأمراض المعدية والحمى القاتلة حيث لا يتواجد راهبٌ في تلك المناطق.

ثانيًا: القيام بأكبر قدر ممكن من الخير لسكان المسلمين المهمّلين، وتحقيق ذلك من خلال نشر رسالة المسيح.[1]

وفي رسالته إلى معلمه هوفلين، كتب دي فوكو قائلاً: "هناك مهمة كبيرة يجب أن أقوم بها في هذه المنطقة، سواء بالنسبة للجنود أو للمسلمين"،[2] يتضح من ذلك ويتأكد الدور المزدوج لشارل دي فوكو، حيث تمازجت لديه الجوانب الدينية والعسكرية، فالهدف الأول له كان عسكريًا والهدف الثاني كان دينيًا، وقد جاء إلى الجزائر بمباركة القس هوفلين، واستقبله الضابط العسكري هنري جيران الذي قام بتوجيهه إلى بني عباس وقرر استقباله في هذه المنطقة، وهذا يشير إلى أن جميع أوامره وقراراته كانت مرتبطة بالقادة الدينيين والعسكريين.

تمكن دي فوكو من الإقامة في كنيسة سطاوالي Staouéli في مدينة الجزائر لمدة 24 يوم من 20 سبتمبر إلى 14 أكتوبر 1901، كان ينتظر الحصول على الرخصة العسكرية من الحاكم العام للجزائر ليتمكن من الاستقرار في منطقة بني عباس Béni Abbesفي جنوب غرب الجزائر، قام بالانتقال إلى المنطقة عندما تسلم الأوراق الضرورية للإقامة في الجنوب الوهراني،[3] من زميله السابق في الجيش ومسؤول شؤون الأهالي في الحكومة الجزائرية، الرائد لاكروا، تلقى أيضًا إذنًا من الآباء البيض التابعين للكاردينال شارل لافيجري للعمل في تلك المنطقة التي كانت تخضع لرعايتهم الروحية، بعد ترك مدينة الجزائر، سافر بالقطار إلى وهران ووصل إلى واحة عين الصفراء، حيث

[1] Jean-François Six, Ibid, p89.
[2] Ibid, p91.
[3] Bazin, Ibid, p198.

كان الجنرال كوشرنيز ينتظره لتسهيل وصوله إلى بني عباس Béni Abbes، ووصل إلى هذه المنطقة في 28 أكتوبر 1901.[1]

عند وصوله إلى بني عباس، وصف دي فوكو المنطقة قائلاً: "بني عباس هي واحدة من أجمل واحات الجزائر، تتميز بوجود بين سبعة آلاف وثمانية آلاف نخلة تنمو على ضفاف نهر الساورة في أراضي الرمال، كما تحتوي على عدد كبير من النفورات المزروعة التي تروى بمياه الفقراء، تمتد المنطقة لمسافة أربعين كيلومترًا شمال الواحات، وتقع تحت مرتفعات جبال الأطلس الأعلى في المغرب، وسكان المنطقة يعيشون في ظروف صعبة، حيث لا يوجد راهب يقدم لهم المساعدة، وتمتد أشجار النخيل بكثافة من فقيق حتى عين صالح...".[2]

1- المهمة الدينية:

قام دي فوكو ببدء مهمته التبشيرية في بني عباس بإنشاء دير متعدد الوظائف، تضمن الدير كنيسة صغيرة وكوخًا يستخدم كغرفة نوم وسكن، وكذلك تخصيص غرف صغيرة لاستقبال الضيوف وعلاج المرضى، وأكد دي فوكو دوره في نشر المسيحية بين السكان واستغلال ظروفهم القاسية، في الوقت نفسه، خدمة الاحتلال الفرنسي من خلال تزويد الجنود بكل ما يحتاجونه، صرح في هذا السياق قائلاً: "قسمت حياتي بين الصلاة والعبادة... ودراسة اللاهوت والأعمال اليدوية، وخصصت جزءًا كبيرًا لاستقبال الضيوف من بعض الضباط والجنود والعرب والفقراء، وقدمت لهم الشعير والتمر بقدر المستطاع".[3]

[1] Jean-François Six, Ibid, p90.
[2] Bazin, Ibid, p202-203.
[3] Gorée George, Sur les traces de Charales de Foucauld ،France،nouvelliste Lyon, 1936, p140.

كان من بين أهدافه التنصير واختراق السكان، حيث قال: "سنصل إلى ذلك تدريجياً من خلال العمل الخيري والعلاج وشراء العبيد... كل هذه الأعمال ستصلح القلوب وتفتح الطريق أمام التبشير المستمر"،[1] نجح في شراء بعض العبيد واستخدم بعضهم كخدم له، مثل الطفل الذي اشتراه في 12 يوليو 1902 وأطلق عليه اسم عبد المسيح، واشترى آخر يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا في أكتوبر من نفس السنة وسماه بول،[2] ذكر أيضًا في رسالة إلى هنري دي كاستري قوله: "إن العبودية هي الجرح الأكبر في هذا البلد"[3].

تتضح مهام دي فوكو والأهداف التي سعى إلى تحقيقها في الجنوب الغربي الجزائري من خلال ما كتبه في رسالة إلى أخته(Marie de lic) بتاريخ 28 جانفي 1903 عندما كان مستقرا في بني عباس حين ذكر بأنه في المنطقة لغرض تحقيق ثلاثة أهداف مرتبطة ببعضها البعض وهي:

– تشكيل مجتمع جديد في المنطقة من الرهبان التبشيريين وعُبّاد القربان المقدس، وكأن دي فوكو لم يكن حلمه يقتصر على تنصير الجزائريين فحسب بل طمح بتحويلهم إلى مبشرين للمسيحية بعد اقتناعهم بتعاليمها واعتناقهم لها.

– خلق جيل جديد في بني عباس معتنق للمسيحية وهو من سيواصل المهام التبشيرية في باقي المنطقة وقد سماهم بالمتحولين الأصليين (يقصد الجزائريين المرتدين عن الإسلام نحو النصرانية) وهذا ما يؤكد البعد المستقبلي لأعمال دي فوكو في المنطقة والرغبة الملحة للحكومة الفرنسية على تعميق هذه السياسة ليكون لها أثر على المدى البعيد.

---

[1] Gorée, Ibid, p155.

[2] André Marie, Lérmite du grand désert _le pére de Foucauld, Toulouse ,imprimerie fournir , 1973, p50.

[3] Jean-François Six, Ibid, p95-96.

– البدء في تأسيس مملكة مسيحية في المنطقة وفي المغرب ككل،[1] وهو الهدف الأسمى الذي سعى دي فوكو بدعم من الفاتيكان والحكومة الفرنسية إلى تحقيقه بتحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع مسيحي، كما يبرهن بكلامه هذا على الأهمية الاستراتيجية لموقع الجنوب الغربي الجزائري في ربطه بين المغرب والصحراء الكبرى وتكوين مملكة مسيحية متكاملة ومترامية الأطراف.

وقال أيضا في هذا الصدد: "سأجمع أخوة يسوع في بني عباس مع السكان المحلين من خلال أعمال خيرية، وبفضلي سيتحصل الكثير من الفقراء والمسافرين على بعض الخبز واللحم والعلاج وسيتعرفون في الوقت نفسه على تعاليم المسيح,، وكان قد أشار في رسالة مؤرخة يوم 23 سبتمبر 1901 بأنه قد تحصل على كل التسهيلات الضرورية والتراخيص المهمة للقيام بمهامه وتحقيق رغبته في جنوب مقاطعة وهران وأنه سعيد بحمله رسالة يسوع في الجنوب الغربي الجزائري وذكر أيضا في رسالة أخرى قوله :"أنا دائما مشغول بشكل مفرط وأنا مسرور لأن الله أراد واختار لي ذلك وأنا مشغول جدا بالمباني والعمل عند سور الحديقة ورعاية الكنيسة وتنظيم الصدقات والعلاج واستقبال الضيوف والزوار ... الخ[2].

2– المهمة العسكرية:

قام دي فوكو بتنفيذ مهمته الدينية بمهارة وتفانٍ كبيرين في جنوب غرب الجزائر، مع السعي الدؤوب لتحقيق جميع أهدافه في نشر المسيحية على نطاق واسع، وبالإضافة

[1] De foucault Charales, Lettres à sa sœur Marie de Blic, France, présentées et annotés par Philippe Th iriez, aditions le livre ouvert ,2005, p116.
[2] De foucault, Ibid, p112.

إلى ذلك، لعب أيضًا دورًا عسكريًا بارزًا ورياديًا في المنطقة، حيث ساهم في دعم القوات الفرنسية في توسيع نفوذها، كان يعمل كضابط عسكري متنكر تحت غطاء ديني، مستغلاً ذلك للتواصل مع السكان المحليين وتنفيذ خطط الاستعمار الفرنسي في المنطقة، في رسالة إلى أخته بتاريخ 16 سبتمبر 1903، وصف إحدى رحلاته التي كشفت دوره العسكري واطلاعه على الأعمال التوسعية الفرنسية والمقاومة الشعبية التي تلقاها، أشار إلى معركة مأساوية في المنغار حيث قاتل 110 رجال ضد القوات المغربية، وتوفي 38 شخصًا وأصيب 48 آخرون، قدم دعمًا دينيًا للجرحى في تاغيت، وبقي هناك لعدة أيام قبل أن يخطط للعودة إلى بني عباس بين 20 و 25 من الشهر، وأشار إلى نية قضاء بعض الوقت في الجنوب في أكتوبر ونوفمبر، ولم يتخذ قرارًا بعد بشأن ذلك، مع وجود حاميات بلا كاهن في تلك المناطق[1].

في رسالة أخرى، تحدث عن مغادرته لمكان إقامته في بني عباس وذلك لمواجهة أي خطر يهدد الجنود الفرنسيين، كان يترك المكان عندما يسمع مجرد إشاعات حول تسلل بعض الأهالي وتهديدهم للمراكز العسكرية، وقد كان يتواجد في الأيام التي يحتاج فيها ضحايا المعارك القاتلة إلى مساعدته،[2] وأعرب أيضًا عن خدماته العسكرية في رسالة أخرى وجهها إلى أخته في 29 أوت 1903، حيث قال: "عزيزتي، أود أن أخبرك بأنه من المرجح أن أغيب لبضعة أسابيع عن مكان إقامتي في بني عباس، وقد يطول غيابي أكثر من ذلك، سأقوم بنقل تعاليم المسيح إلى المناطق الجنوبية حيث لا يحظى جنودنا بالدعم الديني، سيتكرر هذا من وقت لآخر حتى يكون موقع محطات الإرسال العسكرية الفرنسية في الجنوب آمنًا من جميع المخاطر المحتملة، أطلب من يسوع أن

[1] De Foucault, Ibid, p125-126.
[2] Ibid, p125.

يمكننا تحقيق ذلك قريبًا، ولنصلي معًا من أجل وجود رهبان وكهنة في تلك المناطق الشاسعة"".[1]

أصبح دي فوكو مرجعًا للجيش الفرنسي فيما يتعلق بمعرفة أسرار الجنوب الغربي الجزائري والمغرب، وذلك استعدادًا لتوسيع السيطرة واحتلال تلك المناطق، يتجسد ذلك في المحادثات التي كانت تجمعه مع الجنرال "ليوتي"، حيث كان يزوره بانتظام خلال فترة إقامته في بني عباس الجزائرية، وهي منطقة قريبة من المغرب الأقصى، من بين النصائح التي قدمها للجنرال وللجيش الفرنسي بشكل عام، أكد على ضرورة استخدام القوة بجميع أشكالها لتنفيذ خطة الاحتلال والتوسع.

إضافةً إلى جميع الرسائل التي تحمل دلائل واضحة على الجوانب المزدوجة لمهام دي فوكو الدينية والعسكرية في الجنوب، فإن خروجه من بني عباس في رحلة استكشافية إلى باقي مناطق الجنوب الجزائري كان دليلًا آخر واضحًا على توازنه بين المسؤوليات الدينية كراهب متدين ومبشر للنصرانية والمسؤوليات العسكرية كضابط ماهر في وضع الخطط الحربية، في صباح 13 جانفي 1904، انضم الأب شارل دي فوكو إلى فرقة عسكرية مكونة من خمسين ضابطًا، وكان برفقته خادمه بول، غادروا بني عباس باتجاه "أدرار"، وهي إحدى أهم مناطق توات، لمقابلة صديقه "لابرين"، خلال الرحلة، كان دي فوكو يسجل جميع ملاحظاته عن المنطقة وطبيعتها وسكانها، وكان يسعى لبناء علاقات مع السكان من خلال توزيع مواد غذائية على الفقراء، بعد ثمانية عشر يومًا من الانطلاق، وصل دي فوكو إلى أدرار في فيفري.

[1] Ibid, p122.

وبعدها مباشرة انطلق رفقة خادمه "بول" وصديقه "لابرين" وعدد من الجنود الفرنسيين في رحلة استمرت ثمانية أشهر جابوا خلالها معظم القبائل والمناطق الصحراوية منها أزجر azdjers، وبقي دي فوكو في عين صالح لمدة ثلاثة أشهر.[1]

في تلك الفترة، بدأ دي فوكو في عين صالح بين قبائل الطوارق عمله كمستكشف جغرافي، تمامًا كما فعل سابقًا في المغرب، قام بتسجيل المعلومات حول السكان ورسم الخرائط، وكذلك تعلم اللهجة المحلية التي تخاطب بها الطوارق وتُعرف باسم "تماشق"، قال دي فوكو: "إن سكان المنطقة مثل سكان المغرب يتحدثون بلهجتهم الأمازيغية المحلية أكثر من اللغة العربية، وهذه اللهجة هي اللغة القديمة لسكان شمال إفريقيا وفلسطين، وهي اللغة التي تحدث بها أهل قرطاج،،، وأنا قد قررت أن أتعلمها لأتمكن من التواصل مع الجميع، لذا، قررت البقاء في هذه الجولة لدراسة لغة التوارق".[2]

وفي 18 نوفمبر 1904 انتقل دي فوكو إلى غرداية ومكث فيها إلى غاية 7 جانفي 1905 عند الآباء البيض ونسق معهم حول مشروع التنصير في الصحراء خاصة وأنه قد التحق به إلى بني عباس لمساعدته في هذا المشروع قسان آخران الأمر الذي مكن هؤلاء الثلاثة من مضاعفة التبشير المسيحي في الجنوب عامة وفي الجنوب الغربي بشكل خاص، وقد ذكر في رسالة لأخته أنه قد وجد في غرداية أكثر من ثمانية رهبان وما بين ستة عشر وثمانية عشر من الأخوات البيض.[3]

بعد عودته إلى بني عباس في الجنوب الغربي الجزائري، استأنف دي فوكو مهامه السابقة بعد أن قطع معظم الصحراء وزار مناطق مثل الساورة وأدرار وقورارة وغرداية وتيميمون وغيرها، وقد وثق ذلك في إحدى رسائله، حيث وصف رحلته بين

[1] Bazin, Ibid, p283-284.
[2] Ibid, p284-286.
[3] De foucault, Ibid, p132-133.

قبائل الصحراء بصحبة صديقه هنري لابرين، وما كان يقوم به خلالها، قال دي فوكو: "أيامي مشغولة بدراسة لغة هذه المنطقة، اللغة البربرية الأصيلة، وترجمة الأناجيل إليها"[1].

أثناء فترة إقامته في بني عباس، عمل الأب دي فوكو على تجسيد صورة أفضل لتمثيل المسيح ومحاولة إقناع المسلمين بالانضمام إلى المسيحية، وكان حريصًا دائمًا على أن يكون متواضعًا ولطيفًا ووفيًا، تمامًا كما كان يسوع، خاصة أثناء فترة عزلته،[2] وحاول دي فوكو أيضًا تجسيد شخصية مزيفة وأن يكون قدوة للسكان حتى يعجبوا به وبدينه، وظهر نفسه كمثال للالتزام وتفهم ظروف السكان، وكان يختلف تمامًا عن المرابطين والأشراف المحليين في المنطقة، الذين اتهمهم بأنهم لا يفعلون شيئًا ويقضون معظم وقتهم في الاستمتاع بالترفيه وشرب الشاي، ويتظاهرون بالتدين أمام باقي فئات المجتمع، على العكس من ذلك، كان دي فوكو صديقًا وأخًا خاصًا لتلك الفئات المحرومة[3].

المبحث الثاني: مقاومة السكان للمشروع التنصيري:

إن مرامي السياسة الاستعمارية الفرنسية ما فتئت أن اكتشفها السكان المحليون مع مجيء أول الفرق العسكرية بقيادة المقدم فلاترس "Flatters" سنة 1880 إلى منطقة الهقار، تذكر المصادر التاريخية أن طوارق أزقار، والهقار، وكال قرس، وكال اوات، وطوارق تمبوكتو اجتمعوا في مدينة "غات" وقرروا بالإجماع على مقاومة أية محاولة أوربية للتغلغل في الصحراء.

[1] Ibid, p136.
[2] Merad Ali, Charles de Foucauld au regar de L'islam ،Bellegarde،préface du p .Michel Lelong ,la Scop_Sadag, 1975, p31.
[3] de foucault Charles, Ibid, p193.

أولا: موقف سكان الجنوب من مشروع دو فوكو:

لقد قضى الفرنسيون مدة طويلة في الجزائر جنوب الصحراء يبحثون عن تنصير أهلها باستخدام أساليب إغرائية كثيرة ومتنوعة.

إن الراهب الجاسوس شال دو فوكو قد قضى عمره يجري وراء سراب صحراء الهقار إلى أن قضى أجله بها، والملفت للانتباه هو أن شارل دو فوكو رغم تصريحاته العديدة بفشله في تنصير أهل الهقار، إلا انه يأبى الاستسلام،[1] حيث سجل الملاحظات والتقويمات لتخطيط طرق الصحراء ومراكزها الهامة،[2] ونراه يعمل بالتنسيق مع ضباط الجيش وبعض الكتاب الاستعماريين على تشجيع الهجرة إلى الصحراء والترويج لها مشيدين بتلال الرمال التي تحوي أجود عناصر الذهب مشككين في رسوخ إيمان التوارق وتعلقهم بانتمائهم الحضاري، ولكن آمال دو فوكو وأصحابه باءت بالفشل وخير ما يدحضها هو:

-تمسك التوارق بعقيدتهم السمحة وأدائهم لجميع الشعائر الإسلامية كاملة، مع عدم تسجيل أي حالة من الحالات الردة أو الدخول للمسيحية.

-اعتزازه باللغة العربية التي يتكلمونها وحفظهم للقرآن الكريم حفظا جيدا.

-ادعاءات دو فوكو وأتباعهم لا تعدوا أن تكون مجرد محاولة لطمأنة المستعمرين حتى يواصلوا التنصير والتنوير لأنهم لو عرفوا الحقيقة لثبطت عزائمهم.[3]

ثورة الشريف محمد بن عبد النور التي استمرت من عام 1851م إلى 1871م تُعد مثالًا بارزًا عن مظاهر الرفض التي أبداها سكان الجنوب ضد الاستعمار الفرنسي.

---

[1] عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص123.

[2] عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، العدد9، إصدار المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ص132.

[3] عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص123.

كانت هذه الثورة تمثل حركة مقاومة دينية تتدرج تحت مظلة الحركة السنوسية، حيث بدأ نشاطها في منطقتي توقرت و ورقلة، وشهد انضمام العديد من سكان الجنوب إليها في عام 1851م.

خلال هذه الفترة، قاوم سكان الجنوب الفرنسيين في تلك المناطق بشكل مستميت حتى عام 1861م، حينما تم تجميع قوات الاستعمار الفرنسي بقيادة الجنرال بليسي في مدينة الأغواط، وتمت مطاردة الشيخ محمد بن عبد الله واعتقاله في تونس، حيث توفي في عام 1895م بعد أن عاش حياة مليئة بالنضال والكفاح.

ثانيا: موقف الحركة السنوسية من مشروع دوفوكو:

تُعَدّ قضية المساس بالدين الإسلامي وخاصة محاولة تنصير الجزائريين من بين أبرز المحاولات التي نشأت كجزء من المقاومة المسلحة. لقد أدرك الجزائريون بشكل واضح خطورة السياسة التنصيرية التي اتبعتها السلطات الاستعمارية، والتي تضمنت استخدام مجموعة من المبشرين لإبعاد المسلمين الجزائريين عن دينهم[1].

وقد اتُخِذَت هذه المحاولات التنصيرية في إطار مساعي الاستعمار لتغيير هوية الجزائر وجعلها تخضع للقوانين والقيم الغربية إلا أن الجزائريين رفضوا هذه المحاولات وتمسكوا بدينهم بقوة، لقد أدركوا أن حريتهم الدينية وثقافتهم الإسلامية هي أساس هويتهم وقوتهم، وبالتالي قاوموا بكل قوة محاولات التنصير.

من خلال المقاومة المسلحة والوعي الديني، تمكن الجزائريون من مواجهة هذه المحاولات التنصيرية والحفاظ على إيمانهم وهويتهم الإسلامية. بالرغم من تحديات وضغوط الاستعمار، استمروا في الدفاع عن دينهم وقيمهم الثقافية، مما ساهم في تعزيز وتعميق روح المقاومة والحرية في الجزائر.

[1] محفوظ قداش، انتفاضة 1871 ومقاومة شعب بحركة الإيمان، مجلة الأصالة، ع2، الجزائر، 1971، ص16.

بعد احتلال مناطق الجنوب الجزائري من طرف القوات الفرنسية أواخر القرن 19م، وخاصة الهقار و الطاسيلي، قامت الطريقة السنوسية بتجنيد إخوانها في محاربة الاستعمار، ذكر منها:

- مقاومة الشريف محمد بن عبد الله من 1851م إلى 1871م.
- مقاومة السلطان محمود جانيت 1915م.
- مقاومة سيدي محمد العابد في التاسيلي 1916م.
- مقاومة "الأمين العقاد هيروم" في التاسيلي، بين 1915-1918م، والمقاومة التي خاضها أبوح أغايلي بالهقار أين قتل دوفوكو في 1916م.[1]

لقد كان للدعوة السنوسية شهرة كبيرة في الصحراء الجزائرية، حيث تلقت تأييدًا من قبل العديد من زعماء القبائل. يُذكر بعض هؤلاء الزعماء مثل الشريف "محمد بن عبد الله السنوسي" والشيخ عبد السلام التيهرتي في التاسيلي[2].

- مقاومة التاسيلي 1915:

بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، استغل سكان منطقة الهقار هذا الحدث لتعزيز نشاطهم السياسي والعسكري، حيث قام التوارق بتعزيز التعاون مع المقاومين السنوسيين وثوار الشعانبة، وظهرت حركة انتفاضة واسعة في صفوف التوارق خلال فترة الحرب[3].

مع نهاية عام 1915م وبداية عام 1916م، تصاعدت حركات الانتفاضة ضد الفرنسيين في منطقة أزقور، التي تعد موطنًا للتوارق الشماليين امتدت الاضطرابات

[1] مياسي، المرجع السابق، ص94.

[2] نفسه، ص94.

[3] Yahia bouaziz, les insurrection en Algeria au cours des 19eme et 20eme siecl, traduction babiuche hafidi h, tom 2, Algerie, 2007, p 61.

أيضًا إلى إقليم فزان وطرابلس الليبي. قاد أحمد سلطان الجانتي، والشيخ عبد السلام الشارداقي الترهوتي الميزداري، اللذان كانا ينتميان إلى الطريقة السنوسية في فزان، وقد تمكنوا من الاستيلاء على قاعدة عسكرية كبيرة قرب الحدود الجزائرية في فبراير 1916، وحصلوا على أسلحة متطورة مثل الرشاشات والمدافع الحديثة التي استولوا عليها من الإيطاليين وتسلموها بعضها من الأتراك[1].

تولى الشيخ أحمد السلطان الجانتي القيادة السياسية، بينما كان الشيخ عبد السلام الترهوني يتولى القيادة الروحية. وأُطلق على الشيخ العابد السنوسي الإدريسي، الذي يتبع الطريقة السنوسية، لقب "العابد". استمرت الحامية العسكرية بقيادة الضابط لوران لابير لمدة 18 يومًا من 6 مارس إلى 24 مارس 1916م[2].

في بداية الحصار، تمكن الثوار من القضاء على عدد كبير من القوات الفرنسية ومنعوهم من الخروج من الواحة. وفي 21 مارس بدأ الفرنسيون في التراجع بسبب نفاد مؤنهم، وغادروا الواحة تدريجيًا خلال ذلك، تم أسر الضابط "لابير" من قبل الثوار وتمكنوا من السيطرة على الواحة، وكان للفرنسيين رأي آخر حيث قاموا بإلقاء كتائبهم العسكرية في ورقلة بقيادة الضابط "ميني"(meynier) ، وشنوا قتالا عنيفا ضد الثوار في واحة جانيت في 12 مايو، وتمكنوا من السيطرة عليها نتيجة لذلك انسحب الشيخ عبد السلام إلى "غات" في الشمال الشرقي، بينما دخل الشيخ أحمد إقليم فزان الليبي حيث استمر في نشاطه حتى عام 1917[3].

[1] بوعزيز، المرجع السابق، ص58.

[2] نفسه، ص59.

[3] عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ب س، ص41.

وتجدر الإشارة في الأخير إلى أن الطريقة السنوسية هي رمز للحركة الاصلاحية التي لم تكثف من حربها للمجابهة العسكرية للاستعمار بل مارست حربا دعائية أكثر ضراوة ضد الاستعمار وعملت على إضعافه اقتصاديا ودعوة المسلمين إلى مقاطعة بعض المنتجات من الدول الاستعمارية.[1]

هكذا تصدت السنوسية للتحدي الاستعماري، فكان للجهاد في طريقتها معنى ووظيفة، وكان للقوة والاستعداد للقتال مكان ملحوظ في الزاوية والتعليم، وفي الممارسة والتطبيق.

ثالثا: دور المؤسسات الثقافية:

لقد قاوم الشعب الجزائري السياسة الفرنسية منذ بداية الاحتلال وكان سبيله إلى ذلك هو الرفض الكامل لكل ما تأتي به الإدارة الفرنسية، وبعد المقاومة المسلحة برزت المقاومة الثقافية والتي كان وراء تفعيلها الزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد، وهي البنية الأساسية للتعليم خلال العهد العثماني واستمرت بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث ازدادت تعاليم الاسلام انتشارا يوما بعد يوم بفضل الدور الريادي التي لعبته الزوايا لحماية الدين والدفاع عن عقيدته الخالدة، لذلك لم يفلح المبشرون وغيرهم للتأثير على إيمان أهل الجنوب ولا في أفكارهم.

1- دور الزوايا:

تعتبر الزاوية مركزًا للإشعاع العلمي وحافظة لهوية الأمة من جميع أشكال البدع والتدمير منذ بدايتها، كانت رسالتها الأساسية حماية الأمة من الإخفاق والتغييب، وبخاصة الوقوف في وجه التنصير ولذلك، لعبت دورًا بارزًا في الحياة الدينية

[1] عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص123.

والاجتماعية خلال القرن التاسع عشر، من خلال وظائفها الدينية والعلمية، مثل تحفيظ القرآن والحديث وتعليم الفقه وأصوله، بالإضافة إلى ذلك، كانت الزوايا تعتبر حصونًا عسكرية، حيث كانت تقوم بالتجهيز والتحضير الجسماني والنفسي للجهاد[1].

لقد لعبت الزوايا دورًا حاسمًا وهامًا في نشأة وتطور المقاومة الشعبية العفوية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، ولم تكن الزوايا مجرد أماكن عبادة وترديد الأذكار، بل كانت مؤسسات شبه حكومية، تضم المسجد ومبنى معزول لزعيم الزاوية وآخر للنائب، ومساكن لسكان الزاوية وبيوت للفقراء والمسافرين وخدم المجتمع وكانت تشمل أيضًا مخازن للمؤن وفرن ومتجرا وسوقًا.

كما للزاوية أرض زراعية وآبار جوفية وصهاريج لحفظ المياه، وتحيط بالزاوية بطبيعة الحال البيوت الخاصة بالقبائل التي تقوم الزاوية في منطقتهم.[2]

تتمحور أصول الزاوية حول مفهوم الجهاد في سبيل الله والرباط، وهي تاريخية منذ فترة الحروب الصليبية، حيث كانت تعد حصونًا عسكرية للحفاظ على الدين الإسلامي والهوية العربية، لقد ساهمت الزوايا بشكل كبير في الجهاد القومي ومقاومة الغزاة الأجانب. فقد كان أهل الزوايا يحملون سبحة الاستغفار في أيديهم ويرتدون المرقعة على أجسادهم، ويتجهون إلى الله في عبادتهم.

وعندما يتعرضون للعدو، يتحولون إلى حملة السيف بدلاً من السبحة ويرتدون الدروع، ويتجهون إلى المعركة لمواجهة العدو بكل شجاعة وقوة، وبذلك يكونون نموذجًا

[1] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية، ط2، الجزائر، 1981، ص186.

[2] كفاح جرار، زوايا ثائرة من اللوحة إلى القلم إلى البندقية، منشورات الأبيض، ط1، الجزائر، ب س، ص128.

للمؤمنين الذين يحظون بالاحترام والتقدير من الكافرين،[1] حيث يكونون شامخين ومتماسكين في وجه العدو.

يمكن أن نلاحظ الدور البارز الذي لعبته الزوايا في القرن التاسع عشر، في جنوب الصحراء، حيث تركزت جهودها على نشر الإسلام في المناطق النائية والمستعصية، خاصة في إقليم الصحراء. يتجلى ذلك من خلال دور الزوايا الطرقية المختلفة مثل الطريقة التيجانية والطريقة السنوسية. لقد قاومت الزوايا التوغل الفرنسي وقدمت نشاطًا مضادًا لحملة التنصير التي امتدت إلى الصحراء الجزائرية وحاولت القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية، ونشر الجهل بين السكان.

بالإضافة إلى دورها في تعليم العلوم الدينية، استضافت الزوايا الطلاب والعلماء وقدمت لهم المساعدة والدعم المادي والثقافي بشكل مجاني. وخرج منها جيل من المثقفين الذين استمروا في عملية الإصلاح والمقاومة، حيث أصبحوا رموزًا للشخصية العربية الإسلامية الجزائرية واستمروا في التمسك بها، بدلًا من الاندماج في الحضارة الغربية المسيحية[2].

رابعا: دور الكتاتيب[3] (المدارس القرآنية):

[1] عبد المنعم القاسمي الحسيني، زاوية الهامل سيرة قرن من العطاء والجهاد 1862 – 1962، دار الجليل، ط2، الجزائر، 2013، ص154.

[2] عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص79.

[3] يشير مصطلح "الكتاتيب" إلى بيوت فردية أو مجموعات من البيوت ذات أحجام وأشكال متنوعة، وتُطلق عليها أيضًا تسمية "المساجد" في المناطق الشمالية. في هذه البيوت، يجتمع الأطفال من الإناث والذكور، من مختلف الأعمار، حول الشيخ. يجلسون على الأرض، والغالبية العظمى منهم يتعلمون حفظ القرآن الكريم، بهدف تحقيق

إن طريقة التعليم في هذه الكتاتيب هي نفسها المتوارثة منذ القدم والتي استمر بها سكان المغرب الإسلامي بصفة عامة حيث وصفها ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: "فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأما أهل الاندلس فيجعلون الأساس تعليم القرآن..".[1]

خلال فترة الاحتلال ابتداءً من عام 1830م، انتشرت المدارس القرآنية بشكل واسع. لعبت هذه المدارس دورًا بارزًا في المحافظة على القرآن الكريم خلال فترة الاحتلال. اضافة إلى دورها الهام في نشر اللغة العربية، مما ساهم في الحفاظ على لغة الجزائريين على الأقل بشكل بسيط ومتواضع[2].

وبالتالي، يمكن القول إن المدارس القرآنية ساهمت بشكل كبير في المحافظة على خصوصية المجتمع الجزائري، سواء من خلال الثقافة الإسلامية أو اللغة العربية. تعززت أنشطة المدارس القرآنية بشكل كبير خلال القرنين التاسع عشر والعشرين كوسيلة لمواجهة سياسة التنصير والاستعمار، ولحماية الهوية العربية الإسلامية للجزائر، أو لمقاومة سياسة التجهيل التي تمارسها القوات الاستعمارية في الجنوب[3].

فعلى سبيل المثال، رفض أهل الصحراء جميع محاولات التنصير وقاوموها بكل قوة امتلكوها، سواء عسكريًا أو ثقافيًا.

إن دور الحركة السنوسية في مقاومة التنصير كان فعالا جدا حيث قامت الزاوية على المرابطة في الدفاع عن الدين الإسلامي.

الازدهار وتأمين سبل العيش، بدأت هذه الكتاتيب القرآنية في الظهور منذ بداية الإسلام في المدينة المنورة، ثم انتشرت في جميع أنحاء البلدان الإسلامية، بما في ذلك الجزائر، ينظر: بوعزيز، المرجع السابق، ص213.

[1] تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر، ط خ، الجزائر، 2007، ص381.

[2] رابح تركي، المرجع السابق، ص188.

[3] بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص214.

لعبت المؤسسات الإسلامية دور كبير في حماية الهوية العربية الإسلامية لأهل الصحراء فنجد الزاوية المسجد والكتاتيب التي حفظت حضارة هذه المنطقة وصانتها من كل أنواع التدمير فالزاوية فتحت أبوابها لطلاب العلم والمساجد وكانت حافظة للعبادات، أما الكتاتيب فقد حافظت على تعليم وتحفيظ القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مصير مشروع دوفوكو التنصيري ونهايته:

مثلما سبق وأشرنا ان دوفوكو تمكن من استمالة بعض سكان الجنوب، كذلك نجد هذا الأخير له علاقات مع أعيان وأشراف الهقار لا سيما زعيم (موسى إق مستان)، هذا وقد كان يقيم حفلات تارقية للضباط الفرنسيين بحضور النساء تحت وقع الغناء والطرب[1].

هذا وقد كان له دور عسكري وتجلى ذلك خلال اندلاع الحرب العالمية الأولى أين كان يقوم بمراقبة تحركات السنوسية التي كانت تثير مخاوف القوات الفرنسية المتمركزة في الجنوب الشرقي الجزائري، هذا وكان خبر اندلاع الحرب العالمية قد وصل للهقار يوم 3سبتمبر1914، ووصل خبر إعلان ألمانيا الحرب على فرنسا إلى دوفوكو[2]، الذي قرر البقاء في تمنراست للأمان والحفاظ على السلم قائلا:

" **لن أغادر تمنراست، مكاني هنا، المساعدة في تهدئة النفوس، التوارق يجهلون كل شيء عن ألمانيا، حتى اسمها، يجهلون كل شؤوننا الأوروبية، سيبقون حتما في هدوئهم الاعتيادي، فهم منشغلون فقط بحاجاتهم المادية دون أن يشكوا في الزوبعة**

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945، دار الغرب الاسلامي، ج6، المجلد الثالث، ط1، بيروت، 1998، ص134.

[2] ليندة عمراوي، شارل دي فوكو في الجنوب الغربي المهمة المزدوجة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج8،ع2، ص171.

التي تعصف عندنا، إلا إذا كان هناك تحريضات من الجزائر، من السودان أو من طرابلس الغرب،،،".[1]

انتهت رحلة شارل دو فوكو في الهقار بشكل مأساوي، بعد إقامته الطويلة بين السكان، بدأت نشاطاته كراهب تتطور بشكل مريب ومشبوه، ما جعل الشكوك تحوم حوله وواجه اتهامات متعددة.[2]

قضى دو فوكو 15 عامًا في الصحراء الجزائرية، من عام 1901 حتى عام 1916، حيث تم قتله بأمر من الحركة السنوسية في ديسمبر 1916، تسلل ثوار توارق إلى برجه في تمنراست، وأطلق أحدهم النار عليه، وكان يُدعى "سرمي آق" تمكن الثوار من اقتحام البرج للبحث عن الأسلحة والمؤن التي كانت تُخزَن هناك بواسطة الجنود الفرنسيين[3].

يعتبر دو فوكو من الفرنسيين الذين اعتمد أسلوبا جديدا في خدمة الاستعمار حيث أنه كان يعمل في الباطن، عكس الآباء البيض الآخرين الذين كانوا يعملون في الظاهر والباطن، حيث أن دو فوكو اتخذ أسلوب الغموض والتمويه مع الضعفاء والعامة الأمر الذي حزن لأجله الفرنسيون خصوصا أولئك الذين عمل معهم مثل: المارشال "ليوتي" والجنرال "لا بيري"، كان هذا الجنرال "لا بيرين" قد وصل إلى تومبكتو وكان يدرك مدى معرفة دو فوكو لعادات الصحراويين ولهجة التوارق وقدرته على كسب النفوذ لفرنسا والتجسس لحسابها، لذلك طلب الجنرال من "الأب" دوفوكو أن يقبل بالإقامة الدائمة في الهقار ليكون هو الصلة بين السلطات الفرنسية والأحداث هناك ويقول عنته الجنرال "مينيه" إنه كان دائما فرنسيا عظيما وجنديا متميزا بالرحمة الإنسانية، كما كان

[1] حسن مرموري، المرجع السابق، ص 222.

[2] ابراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر، 2007، ص212.

[3] عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2002، ص160.

داعية ناجحا وأضاف "ميني" . عن غيرته الفرنسية بأن مراسلاته تكشف عن ذلك لأنه كان دائما يلح على نشر النفوذ الفرنسي في منطقة الهقار وخدمة مصلحة بلاده ومراقبة الحركات الدينية والسياسية في المنطقة كنشاط السنوسية.[1]

أرسل القائد "لا برين" تعليمة في 16 أبريل 1917م بعد مقتل دو فوكو إلى القيادة العسكرية في تمنراست، وجاء في التعليمة: بشأن مقتل دو فوكو، يجب توجيه العقوبة إلى الجماعة التي قتلته في تمنراست فقط، ومع ذلك يجب الوصول دون مراعاة للزمن إلى تحديد قائمة كاملة بالمسئولين عن هذه الجريمة، وتدرج أسماء الذين سيتم قتلهم تباعًا من ضمن المخبرين والمتواطئين فيها.

هذا يبرر مدى الحقد الذي يكنه "لا "برين" لأهل الصحراء ومدى حزنه على القس والجاسوس دو فوكو.[2]

يتهم الفرنسيون كلًا من العثمانيين والألمان بقتل دو فوكو، إذ كانوا يعتقدون أن الحكومة الفرنسية يجب أن تقلص وجودها العسكري في الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى وللفرنسيين حامية في برج موتيلا، الذي يبعد حوالي 50 كيلومترًا عن تمنراست، ويرى الفرنسيون أن مجموعة من المقاتلين تتألف من نحو عشرين شخصًا، ويُطلق عليهم اسم "فلاقة" قد حضروا بحثًا عن "المرابط الرومي" ومن بين هؤلاء يوجد شخص يدعى "المدين" وهو من الحراثين، في هذه الظروف قتل دو فوكو برصاصة من حارسه في عام 1916م، وانتشرت الإشاعات التي تقول أن قاتله كان من السنوسية[3].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج6، ص134.

[2] شاوش حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، مجلة الدراسات التاريخية، العدد10، الجزائر، 1997، ص99.

[3] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص136.

وفي الواقع، فان دو فوكو انكشفت حقيقته للسكان في المنطقة بمرور الوقت. فقد استخدم الدين والإحسان والعلم كوسيلة لتحقيق أهدافه الاستعمارية. والجنرال "مينيه" كان صادقًا في وصف دوره، إذ كان يعتبر نفسه رجلاً فرنسيًا ورجلاً للكنيسة، لم يكن يعمل بشكل ظاهر فحسب كما كان يعمل في الباطن، حيث اتخذ الغموض والتمويه أسلوبًا للتأثير على الضعفاء والعامة من مناصريه، بالتالي فإنه من حق فرنسا أن تقيم تمثالًا لدو فوكو كما أقامت تمثالًا لـ لا فيجري، وذلك تقديرًا لدوره وإسهاماته[1].

- يعتبر الراهب الجاسوس شال دو فوكو من أهم الشخصيات التي نشطت في مجال التنصير جنوب الجزائر
- بعد تحول شال دو فوكو من العمل العسكري إلى العمل الكنسي زار بلاد المغرب الأقصى و منها عاد إلى الجزائر ليبدأ نشاطه التنصيري التجسسي في منطقة بني عباس عام 1901.
- لقد باشر دو فوكو عمله التنصيري في منطقة تمنراست خلال سنة 1916 بطلب من الجهات العسكرية الفرنسية، كما اعتمد نشاطه على نقل الأخبار المهمة حول أهالي المنطقة من خلال الأعمال الخيرية.

[1] المرجع نفسه، ص136.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال ما تم عرضه في هذه الدراسة التي تمحورت حول إسهامات شارل دوفوكو في الحملات التنصيرية في الجنوب الجزائري 1901-1916 توصلنا للاستنتاجات التالية:

- إن الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري بدأت مع بداية الغزو الفرنسي للجنوب.
- التوغل العسكري الفرنسي نحو الجنوب ساهم في دخول الحركة التنصيرية إلى المنطقة.
- بعد احتلال العديد من المناطق الصحراوية، تم بعث العديد من الإرساليات التنصيرية في المناطق الجزائرية الصحراوية.
- اتضح أن نوايا الاستعمار الفرنسي التنصيرية كانت موجودة في الجزائر منذ الحملة الفرنسية عام 1830م، حيث تأتي هذه النوايا من الموقف الرسمي الفرنسي المعلن عن طريق تصريحات الملك شارل العاشر والجنرالات الفرنسية.
- منذ دخول الفرنسيين إلى الجزائر كانوا يستهدفون المعالم الإسلامية ويعملون على تدميرها إذ تعرضت هذه المعالم للتذبذب والتدمير على يد القوات الفرنسية من أجل طمس كل شيء متعلق بالإسلام.
- يتضح أن النشاط التنصيري الذي قام به شارل دوفوكو كان مشروعًا متكاملاً، وكان الهدف الرئيسي منه هو تحقيق سيطرة الاحتلال الفرنسي على منطقة الجنوب الجزائري عبر نشر الحضارة الغربية والديانة المسيحية.
- المشروع التنصيري ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالعمل الاستعماري الاستيطاني حيث كان دوفوكو يقوم برحلاته عبر الصحراء بهدف نشر عقيدته وتحويل السكان المحليين إلى المسيحية.

– بالرغم من عدم نجاح دوفوكو في تنصير المنطقة بالكامل، إلا أنه قد ساهم في نشر المسيحية وجذب عدد من الأتباع، ويعزى فشل التنصير إلى تمسك السكان بعقيدتهم وعاداتهم.

– بالإضافة إلى النشاط التنصيري، قدم دوفوكو معلومات حول مناطق الصحراء وحركة المجاهدين للقادة العسكريين الفرنسيين في المنطقة، وبذلك ساهم بشكل كبير في العمل العسكري الذي شهدته المنطقة.

الملاحق

الملحق رقم (1): صورة للراهب شارل دوفوكو.([1])

[1] -René Bazin , CHARLES DE FOUCAULD EXPLORATEUR DU MAROC , Paris plon, 1921, p4.

الملحق رقم (2): جدول يمثل تاريخ ميلاد شارل دوفوكو وأصله ونسبه([1]).

5

1858	Strasbourg	Birth September 15th	
1859	Wissembourg		
1860			
1861		Birth of his sister, Marie	
1862			
1863	Strasbourg		
1864		Death of his parents	6 years old
1865			
1866			
1867			
1868			
1869			
1870	Switzerland	War	12 years old
1871	Nancy		
1872		1st Communion, April 28th	14 years old
1873			
1874	Nancy		
1875	Paris	School at St. Genevieve (Rue des Postes)	
1876	Paris-Nancy	Expelled from school, March Preparation for St. Cyr	
1877	St. Cyr		
1878	St. Cyr	Death of his Grandfather, February 3rd	20 years old
1879	Saumur		
1880	Pony-à-Mousson-Bône		
1881	Sétif-Evian-Mascara		
1882	Algiers	Dismissed from the military	
1883	Marocco	Exploratory trip through Morocco (June 1883-May 1884)	25 years old
1884	Algiers	Marriage Plans	
1885	Algiers-Algerian Sahara		
1886	Paris	Conversion end of October	28 years old

[1] -Antoine Chatelard ,CHARLES DE FOUCAULD Journy to Tamanrasset,op cit,p5.

الملحق رقم (3)([1])

6

1887	Paris		
1888	Holy Land	Pilgrimage	
1889			
1890	Notre Dame des Neiges Akbès	Entered the Trappists	32 years old
1891			
1892			
1893			
1894			
1895			
1896	Akbès – Algiers – Rome	Left the Trappists	
1897	Nazareth	Hermit in Nazareth	
1898			
1899			
1900	Nazareth – N. D. des Neiges	Preparation for Ordination	
1901	N.D. de Neiges – Algeria	Return to Algeria	43 years old
1902	Beni Abbès		
1903			
1904	Trip to the South		
1905	Beni Abbès – Hoggar – Tamanrasset	August, Settles in Tamanrasset	
1906	Tamanrasset-Algiers	Trip to Algiers via Beni Abbès	
1907	In Salah-Adrar-Tamanrasset	Trip throughout the South	
1908	Tamanrasset	Illness	50 years old
1909		1st trip to France (5months)	
1910			
1911	Tamanrasset – Assekrem	2nd trip to France (5 months)	
1912	Tamanrasset		
1913		3rd trip to France (7 months)	
1914		War	
1915	Tamanrasset	Construction of "castle"	
1916		Moved to "castle" – Death Dec 1st	58 years old

[1] -ipd,p6.

الملحق رقم (4): صورة شارل دوفوكو وهو في ديره يقوم بصلواته ([1])

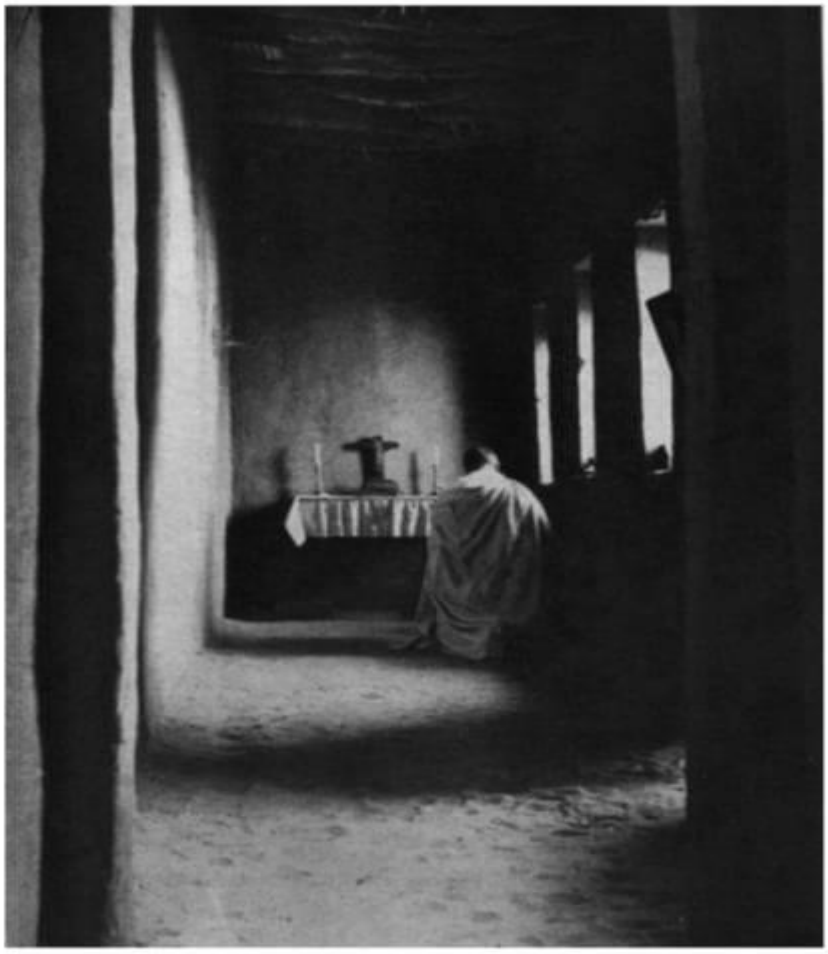

La chapelle du Père Foucauld

163

[1] −Ipid,p163.

الملحـــق رقـــم (5): صـــورة الطفـــل الطـــارقي الـــذي أخـــذه دوفوكـــو برفقتـــه إلـــى فرنسا([1])

Oûksem

172

[1] -Ipid,p172.

الملحق رقم (6) : خريطة تمثل الطرق التي سلكها دوفوكو في رحلته عبر الصحراء الجزائرية ([1]).

Fig 1: Map of the Itinerary of Charles de Foucauld in the Algerian Sahara

Source: Retrieved from www.alger-roi.fr/Alger/tamanrasset/tamanrasset.ht

[1] -Melki Fatima Zohra,Benketaf Hafid,op cit,p284.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1- المصادر العربية:

1- شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883 - 1884، تر: المختار بلعربي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1999.

2- المصادر باللغة الفرنسية:

1- Daumas Eugene, le Sahara Algérien études géographique statistique et historique sur la région au sud des établissement Française en Algérie ,Dubos frères fortin, Masson et G-Alger, Paris, 1845.
2- René Bazin, Charles De Foucauld Explorateur Du Maroc Ermit Au Sahara,Librairie Plon, Paris, 1921.

ثانيا: المراجع:

1- المراجع العربية:

3- إبراهيم مياسي، المقاومة الشعبية، د ط، دار مداني، الجزائر، 2008.

4- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري1881-1912، الجزائر، 1996.

5- إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار هومة، الجزائر، 2007.

6- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.

7- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945، دار الغرب الاسلامي، ج6، المجلد الثالث، ط1، بيروت، 1998.

8- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

9- أحمد خمار، تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل، د ط، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بسكرة، 2008.

10- أحمد سعد الدين البساطي، التبشير في البلاد العربية والإسلامية، دار أبو المجد للطباعة، 1989.

11- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

12- بشير البونوحي، رحلة شارل دو فوكو إلى المغرب (1883-1884) الأهداف والمسار، جريدة العرب للعلوم والإشهار، ع29، آذار 2021.

13- بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

14- تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر، ط خ، الجزائر، 2007.

15- حسن مرموري، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، د ط، الجزائر، 2010.

16- حفناوي بعلي، صحراء الجزائر الكبرى في الرحلات وضلال اللوحات وفي الكتابات الغربية، د ط، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع،2018.

17- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر 1830-1871، منشورات دحلب، 2006، دت.

18- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

19- رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية، ط2، الجزائر، 1981.

20- سعدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892، د ط، دار الشروق للطباعة والنشر، 2009.

21- عبد الحميد زردوم، تاريخ بسكرة الفرنسية 1844-1962، مطبعة المنار، بسكرة، الجزائر، دتن.

22- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900، د ط، موفم للنشر، الجزائر، 2010.

23- عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر للإشهار، الجزائر، 2005.

24- عبد المنعم القاسمي الحسيني، زاوية الهامل سيرة قرن من العطاء والجهاد 1862 – 1962، دار الجليل، ط2، الجزائر، 2013.

25- عبد النور خيثر وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية 1830 – 1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، ب س.

26- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى 1962، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.

27- عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، الجزائر، 2002.

28- عميراوي أحميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، د ط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009.

29- فاتح حليمي، أهداف التنصير في الجزائر في المدى المتطور و البعيد، د ع، د ت.

30- قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 1994.

31- كفاح جرار، زوايا ثائرة من اللوحة إلى القلم إلى البندقية، منشورات الأبيض، ط1، الجزائر، ب س.

32- محمد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر 1830-1904، دار حلب، الجزائر،1997.

33- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تح: حنيفي بن عيسى، دار القصبة، الجزائر، 2007.

34- مياسي ابراهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، غرناطة للنشر، الجزائر، 2013.

35- مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996.

36- يحي بوعزيز، ثروات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلد1، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

2- المراجع الأجنبية:

37- André Marie, Lérmite du grand désert _le pére de Foucauld, Toulouse ,imprimerie fournir , 1973.
38- Antoine Chatelard, Charles De Foucauld Journey to Tamanrasset,Claretian publications Bangalore,2013.
39- Charles De Foucauld, Reconaissance Au Maroc1883 -1884, Librairie coloniale, Paris, 1888.
40- De foucault Charales, Lettres à sa sœur Marie de Blic, France, présentées et annotés par Philippe Th iriez, aditions le livre ouvert ,2005.
41- Dominique Casajus, Charles De Foucaulde Et Les Touaregs, Communication au clloque Anthropologie des traditions intellectuelles, paris, 1996.
42- Ernest marcel, Chroniques de l'Ouest saharien(1900-1930) ،Paris ،Comité de l'Afrique française , 1930.
43- Gorée George, Sur les traces de Charales de Foucauld ،France،nouvelliste Lyon, 1936.
44- Gorrée George, Sur Les traces de Charles de Foucauld, éditions du vieux colombier, paris, 1953.
45- Merad Ali, Charles de Foucauld au regar de L'islam ،Bellegarde،préface du p .Michel Lelong ,la Scop_Sadag, 1975.
46- Mohammed Tiab, La chronologie algerienne 1830-1962, Tome1, Algérie ,2003.
47- René Pottier,La Vocation Saharienne du Pére de Foucauld,poln,paris1939.
48- Jean-François Six, Vie de Charels de Foucauld, Paris, édition du seuil ,27 Rue Jacob, 1962.
49- Yahia bouaziz, les insurrection en Algeria au cours des 19eme et 20eme siecl, traduction babiuche hafidi h, tom 2, Algerie, 2007.
50- Malki Ftima Zohra, Hafid Benketaf, Charles de Foucauld, a Missionary or a French Military Auxiliary in the Conquest of the Algerian Sahara (1901-1916), Elwahat Journal for Research and Studies, v15, 2022.
51- Ouahmi Ould_Braham, Note à propos des lettres de Charles de Foucauld à René Basset1907-1916, Etudes et Documents Berbères , v19-20.

ثالثا: المجلات والملتقيات:

52- إبراهيم زلافي، رسل الغزو الفرنسي إلى الجزائر: التنصير أنموذجا، مجلة إشكالات،ع8، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي تمنراست، الجزائر، ديسمبر 2015.

53- أبو عمران الشيخ، شارل دي فوكو في تامنراست1905-1916، مجلة الثقافة، ع76، أغسطس 1983.

54- أحمد بوسعيد، الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة، مجلة عصور الجديدة، مج10، ع4، ديسمبر 2020.

55- أحمد مريوش، السياسة الفرنسية في الجنوب الجزائري و ردود الفعل الوطنية ما بين 1900-1930،مجلة المصادر، ع20، د ت.

56- حميد قريتلي، أضواء على التنصير في الجزائر1830-1892، مجلة الدراسات التاريخية، ع15-16، جامعة الجزائر، 2012-2013.

57- حياة طويل، التنصير في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي 1830-1962، مجلة القرطاس، ع5، 2017.

58- خيرة بلعربي، نشاط المبشرين وأهم المناطق التنصيرية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، مجلة الحقيقة، ع2، 2018.

59- رموم محفوظ، الاحتلال الفرنسي لأقصى الجنوب الغربي الجزائري والمجابهة العسكرية والثقافية، مجلة الحوار الفكري، العدد11، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.

60- سليمان بن الصديق، تاريخ مدينة متليلي في نصوص الرحالة والجغرافيين، مجلة واحات للبحوث والدراسات، مج9، ع1، 2016.

61- شاوش حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي للجزائر 1830 – 1962، مجلة الدراسات التاريخية، العدد10، الجزائر، 1997.

62- عبد الرحمان نواصر، السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873-1962-منطقة المنيعة نموذجا-، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع1، ديسمبر2016.

63- عبد العزيز خواجة، مؤسسة الاباء البيض: الفضاء الديني والاقتراب المجتمعي-ملامسة سوسيو تاريخية بمنطقة غرداية، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية و التاريخية، ع2، 2012.

64- عبد العزيز خواجة، مؤسسة الآباء البيض: الفضاء الدينيو الاقتراب المجتمعي ملامسو سوسيو-تاريخية بمنطقة غرداية، د اسم مجلة، ع9، 2012.

65- عبد القادر بوباية، دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة عصور الجديدة، ع5/4، ديسمبر 2023-جوان2004.

66- عبد القادر بوتشيشة، لافيجري والتنصير في الجزائر: ضخامة الإمكانيات والجهود و ضآلة النتائج والمردود، مجلة آفاق علمية، مج11، ع02، 2019.

67- عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، العدد9، إصدار المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.

68- عبد القادر خليفي، سياسة التنصير في الجزائر، مجلة المصادر، ع9، د ت ن.

69- عبد القادر خليفي، مجتمع طوارق الجزائر: الخصوصيات الانثروبولوجية والسوسيوثقافية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع13،ديسمبر 2017.

70- عبد الله طيبي، قورارة تراث و ثقافة، مجلة البدر، ع9، 2017.

71- لمحرزي عبد الرحمن، أدرار من مقاومة الاستعمار إلى التحرير، مجلة القصر، العدد8، منشورات دار الثقافة لولاية أدرار، الجزائر، د س.

72- ليندة عمراوي، شارل دي فوكو في الجنوب الغربي المهمة المزدوجة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية، مج8، ع2.

73- محفوظ رموم، توات الجغرافيا والمصطلح من خلال الفونوغرافيا المحلية والأجنبية، مجلة الحوار الفكري، د ع، د ت ن.

74- محفوظ قداش، انتفاضة 1871 ومقاومة شعب بحركة الإيمان، مجلة الأصالة، ع2، الجزائر، 1971.

75- محمد كرادي، صورة المغرب في مرآة الرحلة الكولونيالية "شارل دو فوكو نموذجا"، مجلة مدارات تاريخية، مج1، ع خ، أفريل 2019.

76- محمد مبارك كديدة، النظام السياسي عند التوارق والتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج2، ع2، د ت ن.

77- محمد مزيان، المغرب في الأدبيات الكولونيالية ومشروعية الغزو والإلحاق، مجلة عمران، ج5، ع7 ،2016.

78- محمد هقاري، دور سكان منطقة آزجر والهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية،ع24، جوان2016.

79- مصطفى بن واز، المنظور الفرنسي للصحراء الجزائرية "دوماس إيجان نموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، ع1، يناير 2020.

80- يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين بمنطقة الصحراء من خلال الاستكشاف، مجلة الأصالة، العدد 72، الجزائر، 1971.

81- بوعزيز يحي، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

82- عميراوي أحميدة، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط2، دار الهدى، الجزائر، د ت ن.

رابعا: الرسائل الجامعية:

83- عبد القادر قوبع، الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان وميزاب سنتي 1920-1954، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ معاصر، جامعة بن يوسف بن خدة، بوزريعة، الجزائر،2007-2008.

84- رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري ورقلة نموذجا1844-1962، أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة الجزائر2،2011-2012.

85- عبد القادر مرجاني، السياسة الفرنسية ودور المستكشفين في التوغل في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م،أطروحة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، جامعة سيدي بلعباس،2019-2020.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان 3

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا 3

على أداء هذا الواجب ووفقنا الى انجاز هذا العمل 3

في رحاب الجامعة وعليه نخص بالشكر والتقدير 3

الأستاذ "وادفلي ياسين" الذي أشرف على هذا العمل 3

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان لأساتذتنا الكرام 3

والشكر موصول لكل من قدم لنا يد العون 3

من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة 3

إهداء 4

قائمة المختصرات: 6

مقدمة: ..... أ

مدخل 7

الحركة التنصيرية في الجزائر 7

أولا- التنصير والحركة التنصيرية بالجزائر 8

ثانيا-البوادر الأولى للحركة التنصيرية في الجزائر: 10

ثالثا – أهداف المشروع التنصيري الفرنسي بالجزائر: 17

الفصل الأول 19

الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري 19

تمهيد: 20

المبحث الأول: التوغل الفرنسي بالجنوب الجزائري: 20

أولا- الحملات الاستكشافية والاستطلاعية الفرنسية: 20

1-رحلة روني كاييه (Rene Caille): 21

2-رحلة إيجان دوماس (Daumas): 22
-3رحلة دوفيري(Duveyrier): 23
4-رحلة جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs): 23
5-التغلغل(التوسع) العسكري الفرنسي بالجنوب: 25
المبحث الثاني: بدايات الحركة التنصيرية بالجنوب الجزائري: 27
أولا- بدايات النشاط التنصيري بالصحراء الجزائرية: 27
ثانيا: الإرساليات التنصيرية الفرنسية نحو الصحراء الجزائرية: 29
أ-نحو الأغواط: 29
ب-نحو وادي ميزاب(غرداية والمنيعة): 29
ج- نحو ورقلة: 31
د- نحو الزيبان: 32
هـ- نحو إقليم توات: 33
المبحث الثالث: الهيئات والجمعيات التنصيرية بالجنوب الجزائري: 34
1-جمعية الآباء والأخوات البيض(1873-1891): 35
أ-مركز بسكرة: 35
ب-مركز غرداية: 37
ج- مركز المنيعة: 38
د- مركز ورقلة: 38
2-جمعية إخوان الصحراء المسلحة 1891م: 40
الفصل الثاني 42
شارل دوفوكو ونشاطه التنصيري بالجنوب 42
تمهيد: 43
المبحث الأول: التعريف بشخصية شارل دوفوكو: 43

1-مولده ونسبه:..... 43
2-تعليمه: 44
أ-المراحل الأولى:..... 44
ب-مدرسة سان سير Saint cyr(1876-1878):..... 45
ج- مدرسة سومير (Saumur)(1878-1879): 45
المبحث الثاني: النشاط التنصيري لشارل دي فوكو: 47
-1رحلته لبلاد المغرب:..... 47
2-رحلته لفلسطين والشام:..... 50
-3رحلاته للصحراء الجزائرية:..... 51
3-1-رحلته إلى بني عباس1901-1905:..... 51
3-2- رحلته إلى تمنراست(1905-1916): 54
المبحث الثالث: أعماله وإسهاماته:..... 58
1-أعماله الفكرية:..... 58
2- إسهاماته في العمل التنصيري بالجنوب: 59
3- إسهاماته في العمل العسكري:..... 64
الفصل الثالث 67
الحركة التنصيرية في الجنوب الجزائري بين الأهداف والنتائج 67
المبحث الأول: شارل دوفوكو ودعمه للاستيطان في الجنوب: 69
أولا: أساليب التوغل الفرنسي نحو الجنوب الغربي الجزائري: 70
1- الأسلوب الترهيبي: 70
2- الأسلوب الترغيبي:..... 73
ثانيا: استقرار دي فوكو في بني عباس 1901-1903 Beni Abbes:..... 74
1- المهمة الدينية: 76

2- المهمة العسكرية: 78
المبحث الثاني: مقاومة السكان للمشروع التنصيري: 82
أولا: موقف سكان الجنوب من مشروع دو فوكو: 83
ثانيا: موقف الحركة السنوسية من مشروع دوفوكو: 84
ثالثا: دور المؤسسات الثقافية: 87
1- دور الزوايا: 87
رابعا: دور الكتاتيب (المدارس القرآنية): 89
المبحث الثالث: مصير مشروع دوفوكو التنصيري ونهايته: 91
الخاتمة: 96
الملاحق 98
قائمة المصادر والمراجع: 106
أولا: المصادر: 106
1- المصادر العربية: 106
2- المصادر باللغة الفرنسية: 106
ثانيا: المراجع: 106
1- المراجع العربية: 106

الملخص:

لقد أولى الاستعمار الفرنسي اهتماما كبيرا بالجنوب الجزائري، لا سيما وأنه يعتبر بوابة للتغلغل في القارة الإفريقية، وقد سعى بكل الطرق لإخضاع المنطقة لهيمنته وسلطانه، ومما استعمله في ذلك وسيلة التنصير ومحاولة إخراج الناس من الإسلام إلى المسيحية المزيفة التي تحقق مطامح فرنسا.

وقد سعى في تنفيذ هذا المخطط الأب شارل دو فوكو ، وحاول بكل جهده تنصير السكان سواء في بني عباس أو الهقار إلا أنه لم ينجح في ذلك رغم إصراره، سواء مع الصغار أو مع الكبار، وهذا نظرا لتمسك السكان بعقيدتهم الإسلامية، ومقاومتهم للحركة التنصيرية.

وبقي خادما لمشروعه إلى غاية قتله في 1 ديسمبر 1916، وقد اعتبر موته خسارة كبيرة لفرنسا، وخيرا لسكان الجنوب وللمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي.

Abstract:

French colonialism paid great attention to southern Algeria, especially since it is considered a gateway to penetration into the African continent, and it sought in every way to subjugate the region to its domination and authority, and what it used in that was the means of Christianization and an attempt to lead people out of Islam to false Christianity that achieves the aspirations of France.

The pope Charles de Foucault sought to implement this plan, and he tried with all his might to Christianize the population, whether in Bani Abbas or the Hoggar, but he did not succeed in that despite his insistence, whether with the young or with the adults, and this is due to the adherence of the population to their Islamic faith, and their resistance to the Christianization movement.

He remained a servant of his project until his assassination on December 1, 1916, and his death was considered a great loss for France, and a good for the people of the south and for the resistance against French colonialism.

تم بحمد الله